

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ



الأثر الاقتصادي في تخطيط المدن الإسلامية الأولى (البصرة والكوفة) نموذجاً
(القرنين 1هـ - 3هـ / 7م - 9م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

إشراف الأستاذة:

أ. د. عطابي سناء

إعداد الطالبتين:

بن سخري نادية

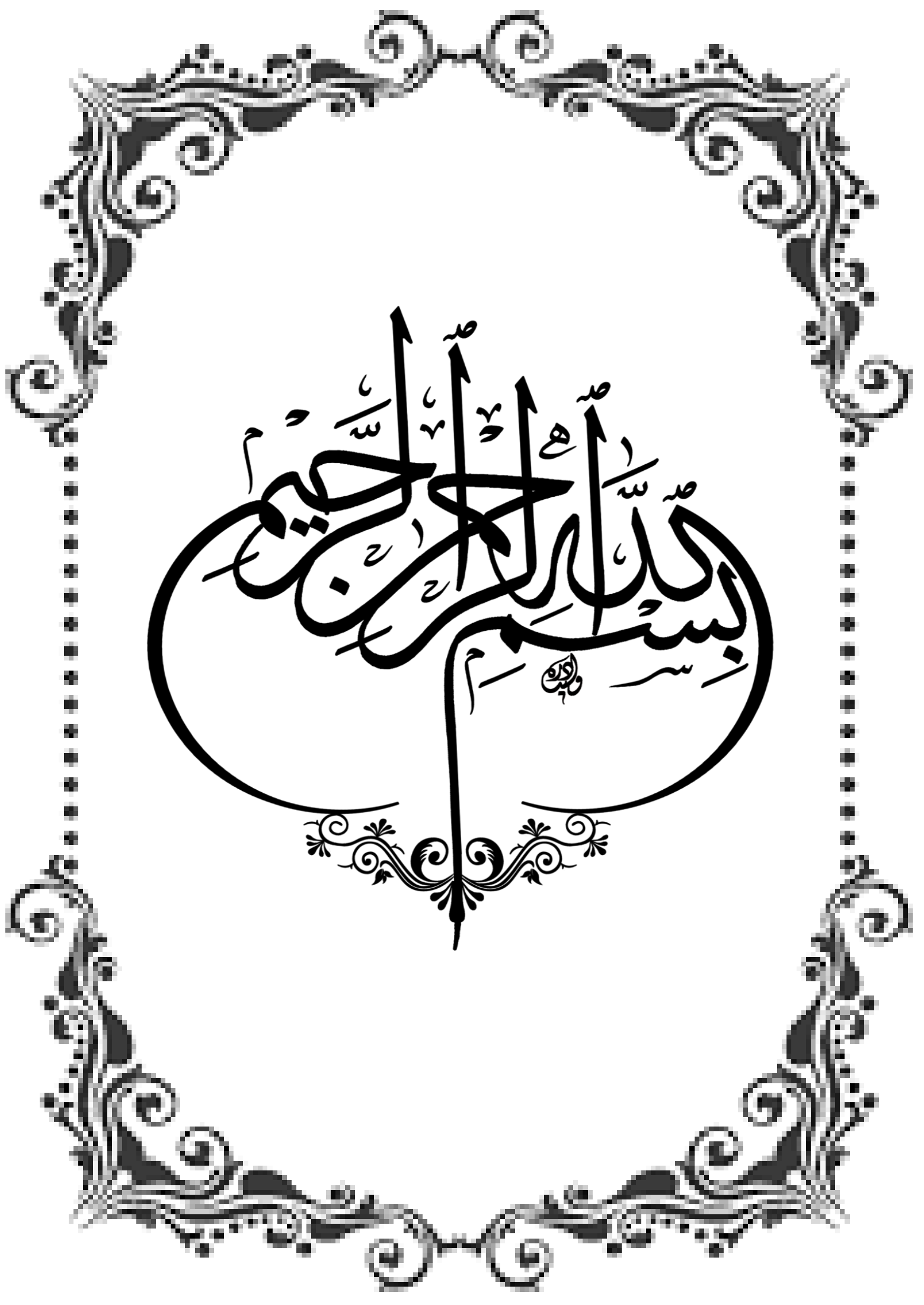

طيبار ميمية

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
أ.د. / أولاد ضياف رابح	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ.د. / عطابي سناء	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة 8 ماي 1945 قالمة
أ.د. / مباركية عبد القادر	أستاذ محاضر "أ"	مناقشاً	جامعة 8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2023 - 2024م / 1444هـ - 1445هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



شكر وعرفان

قال الله تعالى ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ حَالًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

سورة النمل، الآية 19

نبدأ بشكر خير الشاكرين فالشكر لله تعالى وأحمد أن وفقنا ومهدانا ومن علينا بهذا
التوفيق والسداد في إخراج هذا العمل إلى النور

كلمة شكر وعرفان ملؤها الاعتراف بالجميل للأستاذة الدكتورة سناء عطابي التي
تكرمت بالإشراف على هذه المذكرة فتقدمت لنا من العلم خلاصته ومن العون أصدقته
ومن الوقت والجهد أتمنه، وقد كان لتوجيهاتها وإرشاداتها العلمية بالغ الأثر في إخراج
المذكرة بهذه الصورة، فجزاها الله خير الجزاء.

كما نتقدم بالشكر إلى الدكتورة أحلام يوسف التي تفضلت علينا بتوجيهاتها ونصائحها
القيمة لإتمام ما تبقى من العمل فكانت نعم الدليل وخير عون ومثالاً للأستاذ المخلص
في عمله.

كما نتقدم بالشكر والتقدير للأستاذة الدكتورة أولاد خيافه رابع والدكتور مباركية
على قبولهما مناقشة هذه المذكرة وما خصاه من وقت وجهد في الإطلاع عليهما
ونقدتهما البناء من أجل إثرائها وإظهارها بالمظهر اللائق

كما نتوجه بالشكر والتقدير إلى أساتذة قسم التاريخ بجامعة قالمة 8 ماي 1945 م
أدامكم الله منارة للعلم والمعرفة.

دون أن ننسى كل من ساهم من قريب وبعيد في إخراج هذا العمل إلى النور إلى
هؤلاء جميعاً جزيل الشكر والعرفان.

الإهداء

قال تعالى

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

[سورة التوبة، الآية: 105]

إلهمي لا تطيب لي الليل إلا بشكرك ولا تطيب لي النهار إلا بطاعتك ولا تطيب لي الآخرة إلا بعفوك

الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة إلى نبي الرحمة ونور العالمين

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى عيون رحمتك وقلوبك دعتك إلى من أعطوا بلا جزاء

أبي وأمي حفظهما الله

إلى سندي ومن شجعني على إكمال دراستي زوجي العزيز

إلى شركائي في الأفراح والألام اخوتي

إلى من رسموا الفرح والبسمة على محياي أبنائي: آلاء، جنى، عبد الودود إلى أختي

وزميلتي في العمل نادية.

إلى كل من أعطاني يد العون من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل

طيار ميمية

الإهداء

إلى كل من تعلمو العلم علمه
إلى من علمني الأجدية من الألفه إلى الياء
إلى رفيق الدرب زوجي العزيز "فاتح"
إلى صديقتي وزميلتي في العمل طيار ميمية
إلى منبع الحنان ومصدر العطاء أمي وأبي وإخوتي وأخواتي.
إلى فلذات كبدي أبنائي وبناتي "صلاح الدين أيوب، ميس، أميمة"

نادية بن سحري.

المختصرات

الرمز	دلالاته
م	ميلادي
هـ	هجري
تص	تصحيح
تر	ترجمة
تح	تحقيق
مرا	مراجعة
تع	تعليق
د. ت	دون تاريخ نشر
د. م	دون مكان النشر
مج	مجلد
ج	جزء
ع	عدد
نق	نقد
ص	الصفحة
ط	طبعة
د ط	دون طبعة

مَدِينَةُ الْمَدِينَةِ

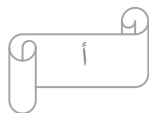
الحمدُ للهِ الأوَّلِ بلا أوَّلٍ كانَ قَبْلَهُ والآخرِ بلا آخرٍ يكونُ بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، والصلاة على سيد المرسلين محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين، أما بعد:

عرفت الدولة الإسلامية في بداية تأسيسها توسعا على إثر الفتوحات الإسلامية، فتأسست العديد من المدن العربية الإسلامية خارج شبه جزيرة العرب وقد تشابهت تلك المدن الزاهرة في منهجية تخطيطها من العقيدة الإسلامية كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم، وارتبطت ارتباطا وثيقا بالإسلام الذي كان مصدر قوتها وسبب وجودها في البلاد المفتوحة أو التي انضوت تحت لوائه، فكان الشرع الإسلامي منهاجا في الحياة، فهو المحور الأساس الذي كان من خلاله حياة التمدن بجوانبها المختلفة اقتصادية واجتماعية حيث كان له دور بارز في انبعاث ظاهرة التمدن انطلاقا من المدن الإسلامية الأولى كالبصرة والكوفة.

وقد بدأت هاتان المدينتان بداية بسيطة لا تتعدى كونها معسكرات لجند المسلمين الفاتحين، فلم تكن من العامرة في بداية تأسيسها وسرعان ما أصبحت مدناً كبرى خلال سنوات معدودة، بفضل أسس ومعايير تخطيطها المنظم والتي من أبرزها المعيار الاقتصادي الذي كان من أولويات الحاكم العربي المسلم في اصطفاء موضع البصرة والكوفة كمستقر للمسلمين توافرت فيه الشروط الضرورية للاستمرار .

الإشكالية:

ولدراسة هذا الموضوع ومحاولة الكشف عن حيثياته لابد من تحديد إشكالية يمكن وفقها بناء خطة علمية وعلى هذا الأساس طرح التساؤلات التالية: هل كانت المدينتان مجرد معسكرين أم كانتا مدينتين حقيقيتين؟ وهل كان اختيار المسلمين للمدن الإسلامية الأولى اعتباطياً أو كان مبني على أسس ومعايير معينة منها الأساس الاقتصادي الذي يعتبر مضمرا في النصوص التاريخية لكن يظهر في سيرورة المدينة واستمرارها؟



أو بمعنى آخر إلى أي مدى كان المعيار الاقتصادي حاضرا في ذهنية المسلمين المؤسسين للمدن الإسلامية الأولى؟ وهل كانت له فعالية في حيوية أو ركود المدينة؟

وقد تفرع عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات فرعية: ماهي الآليات المعتمدة من المسلمين المؤسسين في تفعيل الواقع الطبيعي والموقع الجغرافي للمدينتين اقتصاديا؟ وهل كان استغلال الموارد الطبيعية استغلال ممنهج؟ هل نستطيع القول بأن هاته الأمصار الناشئة (البصرة والكوفة) كان لها الفاعلية في التأثير التجاري المحلي والخارجي؟ وهل كان للحاكم المسلم سبق التاريخي في اختيار مواضع المدن؟ وهل للاختيار الاقتصادي الفضل في حيوية المدينة واستمراريتها الاقتصادية رغم الركود السياسي؟

حدود الدراسة:

شملت هذه الدراسة مجالين اثنين:

أ. **الحدود الموضوعية:** تناولت الأثر الاقتصادي لمدينتي البصرة والكوفة منذ عهد الخليفة الثاني رضي الله عنه إلى العصر العباسي.

ب. **الحدود الجغرافية:** يشمل موضوع الدراسة مدينتي البصرة والكوفة كمجال جغرافي خارج شبه الجزيرة العربية.

ج. **الحدود الزمنية:** تمتد فترة الدراسة ما بين القرنين الأول والثالث للهجرة، ما يوافق القرنين السابع والتاسع للميلاد (1-3هـ/7-9م) أي منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العهد العباسي.

مبررات اختيار الموضوع: من أسباب اختيارنا لموضوع الدراسة نذكر ما يلي:

– الميولات الشخصية لدراسة الأساس الاقتصادي في تخطيط المدن الإسلامية وتم اختيار مدينتي البصرة والكوفة نموذجا، لأنهما أولى الأمصار الإسلامية التي أسست خارج شبه جزيرة العرب.

– إبراز مدى فعالية المعيار الاقتصادي كشرط في تأسيس المدينة الإسلامية وتطورها.

- محاولة تسليط الضوء على الأساس الاقتصادي في تأسيس المدن الإسلامية المضمرة والمهمشة في الدراسات التاريخية.
- تبيان الصورة المشرفة التي عرفت بها حضارتنا الإسلامية.
- تقديم الإضافة البحثية ولو بشكل متواضع في دراسة الشروط الاقتصادية في تخطيط المدن.

منهج الدراسة: للإمام بالموضوع والبحث في حيثياته اعتمدنا على:

منهج البحث التاريخي من خلال:

- المنهج الوصفي لتتبع ورصد الأحداث التاريخية ذات الصلة بالأثر الاقتصادي في التخطيط للمدن الإسلامية الأولى وبشكل خاص البصرة والكوفة حسب ما ورد في مصادرها المتنوعة.
- المنهج التحليلي لتشخيص وتقييم مشكلة الدراسة ومحاولة تفسيرها تاريخياً اقتصادياً وإعطاء إجابات واضحة على الإشكاليات البحثية.

أهمية وأهداف الدراسة:

تكمّن أهمية وأهداف الدراسة في:

- تتبع الإرهاصات والبوادر الأولى لظاهرة التمدن الإسلامي خارج شبه جزيرة العرب.
- الكشف عن مجالات المعيار الاقتصادي في بناء المدن كفضل الموضع الجغرافي وخصوصيته من الناحية الاقتصادية وإمكان التموين الغذائي الزراعي ووفرة الماء والأسواق وتقدير الشارع في المدينة الإسلامية.
- إظهار عبقرية القائد العربي المسلم ونظريته الاستراتيجية في اصطفاء الموضع الذي تتوفر فيه الشروط الاقتصادية الهامة والمؤثرة على سيرورة المدينة.
- تبيان موازنة العامل الاقتصادي للعامل العسكري السياسي في الاعتبار والأهمية في التخطيط للمدينة الإسلامية.

الدراسات السابقة:

من خلال بحثنا المطول لم نجد دراسة سابقة متخصصة في إبراز الأثر الاقتصادي في بناء وتطور المدن الإسلامية الأولى من عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى العهد العباسي، وإنما هناك دراسات أشارت لموضوع شروط ومعايير تخطيط المدن بشكل عام على خلاف دراستنا التي قمنا من خلالها بدراسة الموضوع من زاوية أخرى، وركزنا على الأثر الاقتصادي في التخطيط للمدن.

وبالرغم من ذلك كانت مؤلفاتهم بمثابة القاعدة التي انطلقنا منها في بداية البحث من أهمها نذكر:

– صالح أحمد العلي، خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية

– عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية.

– طه خضر عبيد، المدينة الإسلامية تاريخها وتخطيطها وعوامل ازدهارها وانحطاطها.

– محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية.

– هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، مطابع القبس التجارية.

– مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية.

عرض لأهم المصادر والمراجع: اعتمدنا في الدراسة على عدد من المصادر والمراجع أفادتنا بشكل أساسي في موضوع الدراسة والمتمثلة في:

أ. أهم المصادر المعتمدة:

1. المؤلفات الجغرافية:

هذه المجموعة من المصادر تمثل عماد المدرسة البلدانية والجغرافية العربية، وقد استقننا منها بشكل كبير في إعداد هذه الدراسة، وإثرائها معرفياً وفي مقدمتها كتاب البلدان لليعقوبي (ت 284هـ/897م) كأول من وصف المسالك معتمداً على الملاحظة والمشاهدة

وكذلك كتاب المسالك والممالك للاصطخري المتوفي حوالي منتصف القرن الرابع الهجري (الذي قسم فيه العالم إلى أقاليم ودرس المظاهر العمرانية والاقتصادية، وبعض النواحي التاريخية وأحوال السكان، ثم جاء بعده ابن حوقل (ت367هـ/977م) وكتابه صورة الأرض ويسمى أيضا المسالك والممالك حيث اعتمد في كتابه على الاصطخري تناول محور المدن كما استفادت الدراسة من كتاب المقدسي (380هـ/990م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، حيث كانت معلوماته قيمة حول موضوع المدينة.

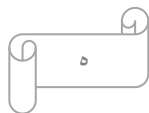
الكتب الجغرافية التاريخية:

كتب الجغرافيا التاريخية تتبع أسماء البلدان أساسا في تنظيم المادة المكتوبة مع ترتيب أسماء البلدان (مدن - قرى - كور - رساتيق وغيرها)، حسب حروف المعجم ونذكر منها: كتاب معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لمؤلفه البكري (487هـ/1094م)، وكتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (630هـ/1232م)، أفادتنا بالمعلومات الجغرافية والتاريخية، لأنها تذكر أولا الموقع الجغرافي وتحديدته وأهميته للإقليم، وبعض المعلومات الطبوغرافية والمناخية والبيئية عنه، ثم تذكر ما حدث من أحداث تاريخية لعصر المؤلف أو معاصره له، وتذكر أيضا الشخصيات التي اشتهرت في كل بلد.

المعاجم الجغرافية: وتشغل المعاجم الجغرافية حيزا كبيرا في القائمة المصدرية، وقد استفادت دراستنا من معجم البلدان لياقوت الحموي (630هـ/1232م).

4. كتب التفسير:

استعنا بكتب التفسير للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في تحديد مواضع معاني ودلالات المدينة الإسلامية كالطبري من خلال كتابه تفسير الطبري، والقسطلاني في مؤلفه إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، كتاب سنن أبي داود لابي داود السجستاني، وسنن ابن ماجة لمؤلفه ابن ماجة، وكتاب سنن النسائي للنسائي، وكتاب صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم، ومسند أحمد بن حنبل لأحمد بن حنبل.



5. المعاجم اللغوية:

هي كثيرة استفدنا منها في استجلاء معاني بعض الألفاظ والمصطلحات التي وردت في النصوص التاريخية كالجوهري (ت 393هـ) في كتاب الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية، وكتاب تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد بن الأزهري الهروي أبو منصور (ت 370هـ/ 980م)، وكتاب لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ)، وكتاب تاج العروس من جواهر القاموس لـ الزبيدي (ت 1205هـ/ 1790م) ... وغيرها.

6. كتب السير والتراجم: وقد أفادتنا كتب السير والتراجم في الإحاطة بالشخصيات المعلمية الواردة في موضوعنا كابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (ت 681هـ/ 1282م)، والذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748هـ/ 1347م) في كتابه سير أعلام النبلاء... وغيرها.

• عرض خطة الدراسة:

اعتمدنا في معالجة موضوعنا على خطة تتكون من مقدمة وثلاث فصول بالإضافة إلى خاتمة، فالنسبة إلى الفصل الأول حاولنا من خلاله أن نضع مفهوما للمدينة الإسلامية في القرآن الكريم والحديث الشريف وعند الجغرافيين وفي معاجم اللغة وفي معناها الاصطلاحي، إضافة إلى إبراز الشرط الاقتصادي في تخطيط المدينة الإسلامية.

أما الفصل الثاني فخصص للحديث عن الشرط الاقتصادي في بناء وتطور البصرة وتضمن أولا تمصير البصرة حددنا من خلاله معنى البصرة وتمصيرها، ثم انتقلنا للحديث عن فضل الموقع على ازدهار المدينة وتقدير شوارع البصرة ثم التموين الزراعي والأسواق وأخيرا المياه وأثرها الاقتصادي.

أما الفصل الثالث فقد جاء بعنوان: الشرط الاقتصادي في بناء وتطور الكوفة وتضمن أولا تمصيرها حددنا من خلاله معنى الكوفة وتمصيرها، ثم ثانيا فضل الموقع على ازدهار المدينة وتقدير الشوارع ثم التموين الزراعي والأسواق وأخيرا المياه وأثرها الاقتصادي.

وتضمنت الخاتمة مجموعة من الاستنتاجات لأهم ما جاء في البحث وعدد من الإجابات الدقيقة للعديد من المشكلات البحثية التي تم طرحها من قبل.

صعوبات الدراسة:

واجهتنا العديد من الصعوبات خلال فترة البحث انحصرت فيما يلي:

- قلة الدراسات والأبحاث المتعلقة بموضوع الأثر الاقتصادي في تخطيط المدن الإسلامية الأولى.
- تشتت المادة العلمية في متون المصادر مما صعب علينا جمعها وإعادة توظيفها.

الفصل الأول:

المدينة الإسلامية وأسسها الاقتصادية

1. المدينة مفاهيم واتجاهات

2. الشرط الاقتصادي في تأسيس المدينة الإسلامية

1. المدينة مفاهيم واتجاهات:

1.1 المدينة والقرية في القرآن الكريم:

- المدينة مواضعها ودلالاتها في القرآن الكريم:

وردت كلمة المدينة في القرآن الكريم سبع عشر مرة⁽¹⁾، أربع عشر بصيغة المفرد وثلاثة بصيغة الجمع، وكلها معرفة بـ "ال"، ولم تأتي في أية موضع على سورة الذكر وهذا دليل أنها تفيد بقعة معينة بذاتها⁽²⁾.

مواضع لفظ المدينة المفردة المعرفة بـ "ال"⁽³⁾:

1. قال تعالى: ﴿ هَذَا لَمْكُرٌ مَّكْرُتُمْوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾⁽⁴⁾.
2. قال تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ... ﴾⁽⁵⁾.
3. قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ﴾⁽⁶⁾.
4. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ﴾⁽⁷⁾.
5. قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾⁽⁸⁾.

(1) دعاء سميح عبد السلام، القرية والمدينة في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي)، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ع12، مصر، 2018، ص814.

(2) بلسم محمد صكبان، دلالة قرية ومدينة في القرآن الكريم، مجلة الفنون والآداب وعلوم إنسانيات والاجتماع، ع51، مديرية التربية، واسط، العراق، ص298.

(3) دعاء سميح عبد السلام، المرجع السابق، ص815.

(4) الأعراف، الآية 123.

(5) التوبة، الآية 101.

(6) التوبة، الآية 120.

(7) يوسف، الآية 30.

(8) الحجر، الآية 67.

6. قال تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ (1).
7. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (2).
8. قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (3).
9. قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ ذَلِكَ﴾ (4).
10. قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ﴾ (5).
11. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يُمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (6).
12. قال تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (7).
13. قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (8).
14. قال تعالى: ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ (9).

(1) الكهف، الآية 19.

(2) الكهف، الآية 82.

(3) النمل، الآية 48.

(4) القصص، الآية 15.

(5) القصص، الآية 18.

(6) القصص، الآية 20.

(7) الأحزاب، الآية 60.

(8) يس، الآية 20.

(9) المنافقون، الآية 8.

وجاءت بصيغة الجمع ثلاث مرات مواضعها:

1. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ...﴾⁽¹⁾.
2. قال تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ...﴾⁽²⁾.
3. قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾⁽³⁾.

يعدنا القرآن الكريم بآيات متعددة تتعلق بموضوع تحديد معنى المدينة ومعاييرها، وهي إشارة تحمل أهمية كبيرة في دراسة الوضعية التمدنية العربية الإسلامية⁽⁴⁾.

وردت كلمة مدينة في القرآن الكريم أربعة عشر مرة ولا تعني المعنى نفسه والمدينة نفسها⁽⁵⁾، بل اختلفت الكلمة ودلالاتها الجغرافية والمكانية والزمانية ما بين سورة وأخرى وكذلك ما بين آية وأخرى، فكانت لها دلالاتها التاريخية في زمن نزولها بالتذكير بقصص الأمم السالفة لكنها لا تخرج عن المعنى المادي واللغوي للمدينة التي هي البلدة العظيمة الكثير أهلها وتوافر أسواقها ومنازلها⁽⁶⁾.

وعند قراءة الآية والرجوع إلى التفاسير يقود إلى تحديد أدق لتلك المدن وأماكنها، وتلك المدن كانت قائمة منذ قديم الزمان حتى ظهور الإسلام وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى يثرب التي أصبحت تعرف بالمدينة المنورة⁽⁷⁾.

يمكن تلمس بعض المعايير الخاصة بمعنى مدينة من هذه الآيات كالتالي:

-
- (1) الأعراف، الآية 111.
 - (2) الشعراء، الآية 36.
 - (3) الشعراء، الآية 53.
 - (4) عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 2001، ص62.
 - (5) بلسم محمد القرشي، دلالة قرية ومدينة في القرآن الكريم، مجلة الفنون والآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، ع51، العراق، 2020، ص320.
 - (6) طه خضر عبيد، المدينة الإسلامية (تاريخها وتخطيطها وعوامل ازدهارها وانحطاطها)، دار الفكر، عمان، 2001م، ص20.
 - (7) المرجع نفسه، ص20.

1. المدينة تشير إلى المكان الذي يجتمع فيه الناس⁽¹⁾ لقوله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾ والمراد بها هنا⁽³⁾ مصر⁽⁴⁾.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾⁽⁵⁾، المراد بها هنا مدينة⁽⁶⁾ الرسول⁽⁷⁾ يثرب.⁽⁸⁾

2. المدينة تشير هنا إلى المركز الاقتصادي الثابت، وحيث التبادل النقدي هو أساس التعامل التجاري⁽⁹⁾ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَا هُم لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَىٰ

(1) ممتاز حازم داؤد الديوجي، بسام إحسان عبد القادر، أثر الإسلام في تطوير بعض المفاهيم الأساسية في تخطيط المدن، مجلة المخطط والتنمية، جامعة الموصل، ع19، العراق، 2008، ص67.

(2) سورة الأعراف، الآية 123.

(3) ينظر كذلك الآيات الآتية التي وردت فيها كلمة مدينة والمراد بها مصر: سورة يوسف، الآية 30، سورة القصص، الآية 15 والآية 18، ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، تح: أسعد محمد الطيب، مركز الدراسات والبحوث، ط1، المملكة العربية السعودية، 1417هـ، 1997م، ص2953، 2997.

(4) المصدر نفسه، ص2957، 2997.

(5) سورة التوبة، الآية 101.

(6) ينظر كذلك الآيات الآتية التي وردت فيها كلمة المدينة والمراد بها يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم: سورة التوبة، الآية 120، سورة المنافقون، الآية 8، سورة الأحزاب، الآية 60، ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج14، ص516، ج20، ص327، ج23، ص327.

(7) الطبري، تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن، دار التربية، (د. ط)، مكة المكرمة، (د. ت)، ج14، ص440.

(8) يثرب: مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أول من سكنها عند التفرق يثرب بن مهائل، فلما نزلها الرسول صلى الله عليه وسلم سماها طيبة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، (د. ط)، بيروت، 1397هـ/1977م، مج5، ص430.

(9) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص93.

الْمَدِينَةَ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١﴾،
والمقصود بالمدينة (2) هنا "أفسوس" (3).

3. المدينة تشير إلى مقر الملك أو الحاكم (4) لقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (5)، والعزير يقصد به الحاكم أو الملك والمدينة المراد بها هي مصر (6) مقره.

4. المدينة بمعنى القرية (7) لقوله تعالى: ﴿ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (67) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٨﴾، أراد بها قرية سدوم (9).

﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (10)، والمراد بها هنا أنطاكيا (11).

(1) سورة الكهف، الآية 19.

(2) الطبري، تفسير الطبري، المصدر السابق، ج17، ص627.

(3) أفسوس: بلد بثور طرسوس يقال أنه بلد أهل الكهف، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص231.

(4) ممتاز حازم داؤد الديوجي، المرجع السابق، ص67.

(5) سورة يوسف، الآية 30.

(6) الطبري، المصدر السابق، ج13، ص162.

(7) دعاء سميح عبد السلام، المرجع السابق، ص823.

(8) سورة الحجر، الآية 67، 68.

(9) سدوم: مدينة من مدائن قوم لوط، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج13، ص20.

(10) سورة الكهف، الآية 82.

(11) أنطاكيا: مدينة تاريخية تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي من شاطئ البحر المتوسط في لواء الإسكندرون: ينظر

:ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص267.

﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةٌ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾⁽¹⁾، وأجمع المفسدون على أن المقصود بالمدينة في هذه الآية قرية صالح⁽²⁾: حجر ثمود⁽³⁾.

5. أطراف المدينة⁽⁴⁾: لقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾⁽⁵⁾، وأراد بها سبحانه وتعالى أبعد موضع في المدينة لاتساع المدينة وامتداد أطرافها⁽⁶⁾.

يتبين لنا حسب ما سبق أن:

- دلالة المدينة تختلف بحسب سياق معنى الآية لذلك لم ترد معنى واحد لاختلاف سياق الآيات الكريمة⁽⁷⁾.

- لم يرد ذكر لأي من المدن الواقعة في الجزيرة العربية أمثال مكة، صنعاء ... تحمل تعبير المدينة ما عدا إشارة إلى مدينة يثرب⁽⁸⁾.

- دلالة لفظ المدينة في الآيات الكريمة يدل على مكان متسع يسكنه أهل الترف من الحكام وتجار كما ورد في سورة الكهف ويوسف والقصص والنمل.

- تتميز المدينة بممارسه مختلف الأنشطة السياسية الإدارية والاقتصادية.

- التنوع العرقي لساكني المدينة والوافدين إليها.

- تتميز المدينة بالاتساع الجغرافي مما يساعد على زيادة العمران والأبنية وبالتالي تنوع مختلف الأنشطة خاصة الاقتصادية منها.

(1) سورة النمل، الآية 48

(2) الطبري، المصدر السابق، ج18، ص217.

(3) حجر ثمود: قرية صغيرة قليلة سكان وهي من وادي القرى على يوم بين الجبال، وبها كانت ديار ثمود بين المدينة وبلاد الشام، ينظر: الإصطخري، المسالك والممالك، مطبعة بريل، (د. ط)، هولندا، 1937، ص19.

(4) بلسم محمد صكبان القرشي، المرجع السابق، ص303.

(5) سورة القصص، الآية 20.

(6) دعاء سميح عبد السلام، المرجع السابق، ص826.

(7) بلسم محمد صكبان القرشي، المرجع السابق، ص303.

(8) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص63.

- القرية مواضعها ودلالاتها في القرآن الكريم

لفظ القرية لغة مشتق من القاف والراء والحرف المعتل وهو أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، وسميت القرية بهذا الاسم لاجتماع الناس فيها⁽¹⁾. وفيه قربت الماء في الحوض أي: جمعته والنسبة إلى القرية قرويٌّ بفتح القاف وتجمع على قُرى بضم القاف، وهي لغة أهل الحجاز، ولغة أهل اليمن، قرية بكسر القاف ويجمعونها على "قُرى" بكسر الفاء⁽²⁾. كما ورد معنى القرية في بعض المعاجم بأنها المكان من الأرض الذي لا يكاد أن يقطعه شيء⁽³⁾.

كما تُعرف أيضا في المعاجم اللغوية بالمَصْرِ الجامع⁽⁴⁾ وكل مكان اتصلت به الأبنية واتخذ قرارًا وتقع على المدن وغيرها⁽⁵⁾. وفي الاصطلاح تعتبر القرية في الدراسات الحديثة كل تجمع للسكان قل عدده عن 500 نسمة، في حين تجمع المدينة ما يتراوح بين 500 و100 نسمة أو أكثر ومن هنا قيل إذا قل قيل لها قرية وإذا كثر قيل لها مدينة⁽⁶⁾.

-
- (1) راغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار الفكر، (د. ط)، بيروت، (د. ت)، ص402، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 1399هـ، 1979م، ج1، ص78.
- (2) ابن منظور، لسان العرب، دار أدب الحوزة، 1405هـ، 1984م، ج15، ص177.
- (3) الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، بيروت، 1420-1999م، ص223.
- (4) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، (د. ط)، القاهرة، 2008/1429م، ص1313. ابن منظور، المصدر السابق، ج15، ص177.
- (5) محمد عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، (د. ط)، العراق، 1982، ص351.
- (6) ابن الأجدابي، كفاية المتحفظ في اللغة، تح: السائح علي مبین، دار إقرأ للطباعة والنشر، (د. ط)، طرابلس، (د. ت)، ص172.

ووردت لفظة القرية في السور المكية سبعا وأربعون مرة موزعة على إحدى وعشرون

سورة كما هو موضح في الجدول التالي⁽¹⁾:

جدول رقم 1: لفظ القرية في السور المكية:

الرقم	الآية	المفردة	السورة
1	﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ 161	الْقَرْيَةَ	الأعراف
2	﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ 163	الْقَرْيَةَ	الأعراف
3	﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ 82	الْقَرْيَةَ	يوسف
4	﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ 74	الْقَرْيَةَ	الأنبياء
5	﴿وَلَقَدْ آتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوْءًا فَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ 40	الْقَرْيَةَ	الفرقان
6	﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ 31	الْقَرْيَةَ	العنكبوت
7	﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ 34	الْقَرْيَةَ	العنكبوت
8	﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ 13	الْقَرْيَةَ	يس
9	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ 123.	قَرْيَةٍ	الأنعام

(1) حازم حسني زيود، مفهوم القرية ودلالاتها في القرآن الكريم، مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، ع2، 2011، مج2، ص7.

الأعراف	قَرْيَةٍ	﴿كَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بِأُسْنًا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ 4	10
الأعراف	قَرْيَةٍ	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ 94	11
يونس	قَرْيَةٍ	﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ 98	12
الحجر	قَرْيَةٍ	﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ 5	13
النحل	قَرْيَةٍ	﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ 112	14
الإسراء	قَرْيَةٍ	﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ 16	15
الإسراء	قَرْيَةٍ	﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ 58	16
الكهف	قَرْيَةٍ	﴿فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَن يُصَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ 77	17
الأنبياء	قَرْيَةٍ	﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ 6	18
الأنبياء	قَرْيَةٍ	﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ 11	19
الأنبياء	قَرْيَةٍ	﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ 95.	20
الفرقان	قَرْيَةٍ	﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا﴾ 51	21
الشعراء	قَرْيَةٍ	﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ 208	22
النمل	قَرْيَةٍ	﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أُنزِلَتْ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ 34	23

أما موضع لفظ القرية وتصريفاتها في السور المدنية⁽¹⁾ وردت عشرات المرات موزعة على ست سور كما هو موضح في الجدول رقم 2:

الرقم	الآية	المفردة	السورة
24	﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ 58	قَرْيَةٍ	القصص
25	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ 34	قَرْيَةٍ	سبأ
26	﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ 23	قَرْيَةٍ	الزخرف
27	﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ 92	أُمَّ الْقُرَىٰ	الأنعام
28	﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ 7	أُمَّ الْقُرَىٰ	الشورى
29	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) أَقَامِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَامِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحَىٰ وَهُمْ يُلْعَبُونَ (98) ﴾	أَهْلَ الْقُرَىٰ	الأعراف
30	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ 109	أَهْلَ الْقُرَىٰ	يوسف

(1) حازم حسني زيود، المرجع السابق، ص08.

31	﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ 131	الأنعام	القرى
32	﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ 101	الأعراف	القرى
33	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ 100	هود	القرى
34	﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ 102	هود	القرى
35	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ 117	هود	القرى
36	﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ 59	الكهف	القرى
37	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَلْتَلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ 59	القصص	القرى
38	﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ 18	سبأ	القرى
39	﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ 27	الأحقاف	القرى
40	﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ 18	سبأ	قرى
41	﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ 82	الأعراف	قريبتكم
42	﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ 56	النمل	قريبتكم

الأعراف	قَرَيْتَنَا	﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ 88	43
الزخرف	القَرَيْتَيْنِ	﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ 31	44

إن التالي لآيات الله تعالى التي أوردت لفظة القرية يلحظ أنها تدور حول عدة دلالات

ومعان والتي توضيحها كالتالي:

1. القرية تشير مدينة مكة⁽¹⁾ بتعبير القرية⁽²⁾ لقوله تعالى:

﴿وَكَأَيْنَ مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَا هُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾⁽³⁾.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾⁽⁴⁾.

كما وردت أيضا مكة⁽⁵⁾ بلفظة أم القرى⁽⁶⁾ لقوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾⁽⁷⁾.

(1) الطبري، المصدر السابق، مج7، ص266.

(2) لمزيد من الإستشهادات القرآنية المماثلة (القرية=مكة) سورة سبأ الآية 24، سبأ/13، الأعراف/ 94.

(3) سورة محمد، الآية 13.

(4) سورة النساء، الآية 75.

(5) لمزيد من الإستشهادات القرآنية أم القرى مكة: سورة الأنعام الآية19، ينظر: الطبري، تفسير الطبري، مج7، ص266

(6) أرجع تسمية مكة بأم القرى لعدة أسباب منها منشأ الدين والشرع، وفيها أول بيت وضع للناس، وهي جمع الناس ومجتمعهم وهي أعظم القرى نشأتا في الدين، ينظر: رضا محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، القاهرة، ج7، ص5، 7.

(7) سورة الشورى، الآية 7.

2. القرية وردت بصيغة التثنية (القريتين) ⁽¹⁾ لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ⁽²⁾، فالمقصود بالقريتين مكة والطائف ⁽³⁾.
3. لفظ القرية المرادية القرية المدينة، ⁽⁴⁾ المكان الأهل بالناس ⁽⁵⁾، لقوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ⁽⁶⁾.
4. القرية بمعنى المدينة المرفأ التي تردها السفن أو المدينة الميناء التي يأتيها الرزق من كل مكان حيث التجارة الواردة من كل جهة ⁽⁷⁾ لقوله تعالى ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ⁽⁸⁾، والمراد بها في هذا الموضع ⁽⁹⁾ المدينة الميناء أيلة ⁽¹⁰⁾.
5. القرية التي تعني المدينة الجامعة لزعماء الأمة ورؤسائها التي تعبر عنها في عرف هذا العصر بالعاصمة ⁽¹¹⁾ لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُّجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ⁽¹²⁾.

(1) حازم حسني زيود، المرجع السابق، ص12.

(2) الزخرف، الآية 31.

(3) الشوكاني، فتح القدير، مرا: يوسف الغوش، دار المعرفة، ط4، بيروت، 1428هـ/2007م، ص1340.

(4) حازم حسني زيود، المرجع السابق، ص21.

(5) لمزيد من الاستشهادات القرآنية ينظر سورة الأنعام، الآية 123، الأعراف، الآية 94، الزخرف الآية23، النمل الآية 56، الشعراء، الآية 208، القصص الآية 58.

(6) سورة البقرة الآية 259، ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج5، ص439.

(7) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص64.

(8) سورة الأعراف، الآية 163.

(9) للمزيد من الاستشهادات القرآنية، سورة الأعراف 4/ 161، سورة النساء، الآية 75، سورة الأنعام، الآية 123، سورة يونس، الآية 98، سورة يوسف، الآية 82، سورة الحجر الآية 4، سورة الإسراء.

(10) أيلة مدينة بين الفسطاط ومكة على شاطئ بحر القلزم تعد في بلاد الشام، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص292.

(11) الطبري، المصدر السابق، مج10، ص507.

(12) سورة الأنعام، الآية 123.

6. لفظ أهل القرى المراد به أهل الأمصار دون البوادي لتمييز هذه الأخيرة بالسورة مقارنة بأهل الأمصار الأعلم والأفضل⁽¹⁾ لقوله تعالى: ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾⁽²⁾.

7. لفظ القرية المراد بها ديار الأقوام المعذبة المذكورة في القرآن الكريم والتي استوطنت قرى مختلفة⁽³⁾، وهذا وارد في وله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾⁽⁴⁾، وتلك القرى من عاد وثمود وأصحاب الأيكة⁽⁵⁾.
مما سبق ذكره يمكن القول أن:

1. دلالات لفظ القرية في القرآن الكريم تختلف من موضع لآخر تبعًا للسياق القرآني.
2. إن لفظ القرية أكثر ما ورد في القرآن الكريم على المكان الذي يجتمع فيه الناس وهذا يدل على المعنى اللغوي، أما المعاني الأخرى التي حمل عليها معنى القرية في القرآن الكريم، وقد أرشدت إليها آثار السلف عنيت المراد منها.
3. أن الأصل الذي سكن الإنسان كان القرية ثم بعد التطور والتمدد أصبح يسكن المدينة.
4. لفظ القرية له مساس بالمدينة لأن القرية كل مكان اتصل به الأبنية وتقع على المدن.
5. تتميز القرية بصغر المكان وبساطته وبقيت هذه الدلالة مستمر إلى يومنا هذا.
6. التخطيط العمراني يشمل كل مستويات البيئة العمرانية التي تتدرج تحتها المدينة والقرية.

(1) حازم حسن زيود، المرجع السابق، ص 20.

(2) سورة يوسف، الآية 109.

(3) حازم حسني زيود، المرجع السابق، ص 21.

(4) سورة الكهف، الآية 59.

(5) الأيكة: قيل هي تبوك التي غزاها الرسول (ص)، وأرسل إليهم النبي شعيب عليه السلام وإن المراد بأصحابه الأيكة هم أهل مدين، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 1، ص 291.

2.1 المدينة في الحديث الشريف:

ورد في الحديث النبوي الشريف لفظ "الدِّيَانُ"، ويقصد به الملك أو الحكم، وأورد حديث عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال: سمعت عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يَحْشُرُ اللهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ، أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيَانُ"⁽¹⁾، ويتفق معنى الحديث مع اشتقاق الكلمة من الدَّيْنِ وَالْمَلِكِ وَالْقَضَاءِ، وهو ما أشارت إليه بعض المعاجم العربية من أن كلمة مدينة ترجع إلى كلمة دين، وهي مشتقة من كلمة ودنته أي ملكته فهو مدين مملوك، ويذكر أن جماعة من الناس ترى بأن كلمة مدينة ترجع في الأصل إلى كلمة دين لكونها تملك⁽²⁾.

ومن المعلوم أن السنة النبوية والحديث النبوي الشريف، هو توضيح لما ورد في القرآن الكريم، فتجد هناك تقاربا وتطابقا بينهما حول تعبير المدينة، فالأحاديث فيها معلومات واسعة عن الجوانب الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وورد لفظة المدينة للدلالة على المدن الكبيرة المستقلة، والواقعة خارج الجزيرة العربية كمدينة دمشق مثلا، ففي حديث عن أبي الدرداء أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ فُسْطَاطَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ الْمَلْحَمَةِ بِالْغُوطَةِ إِلَى جَانِبِ مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا دِمَشْقُ مِنْ خَيْرِ مَدَائِنِ الشَّامِ"⁽³⁾، فالتعبير يوضح قدم وجود مدينة دمشق التي اتخذت خياما وفساطيطا للمسلمين إلى جوارها⁽⁴⁾، وهناك حديثا

(1) القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، ط7، مصر، رقم الحديث: 7480، 1323هـ، ج10، ص 427.

(2) محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1988، ص 16.

(3) أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، باب في المعقل من الملاحم، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، رقم الحديث 4298، 1430هـ-2009م، ج6، ص 356.

(4) طه خضر عبيد، المرجع السابق، ص 23.

استخدمت فيه كلمة مدينة للإشارة إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم "يثرب"، فقد ورد بالحديث "أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ..."⁽¹⁾.

كما جاء في الحديث النبوي ما يدل على تعبير الأمصار بمعنى البلدان أو المدن، فقد روى أبو أيوب الأنصاري أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "سَتَفْتَحُ عَلَيْكُمْ الْأَمْصَارَ وَتَسْتَكُونُ جُنُودًا مُجَنَّدَةً تُقَطِّعُ عَلَيْكُمْ فِيهَا بَعُوثًا"⁽²⁾، وبهذا الاتجاه يشير الحديث الشريف "رُفِعَتْ لِي مَدَائِنٌ كِسْرَى وَمَا حَوْلَهَا وَمَدَائِنٌ كَثِيرَةٌ"⁽³⁾، كما ورد في الحديث استخدام لتعبير المدينة بأنها المدينة الميناء أو المدينة المرفأ، فقد جاء في حديث شريف عن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "سَمِعْتُمْ بِمَدِينَةٍ جَانِبِهَا فِي الْبَرِّ وَجَانِبِهَا فِي الْبَحْرِ"⁽⁴⁾. وهناك أحاديث تتضمن استخداما لكلمة المدينة التي كانت تقوم بوظيفة الحصن، وهو كما يُفهم من تلك الأحاديث، يشكل جزءا من المدينة وبين ما يحيط به⁽⁵⁾، فقد أورد الإمام أحمد بن حنبل حديثا جاء فيه "أَنَّهُ أَنْتَهَى إِلَى حِصْنٍ أَوْ مَدِينَةٍ"⁽⁶⁾، وكذلك حديث "فَيُخْرِجُونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحِصُونِهِمْ" وحديث آخر "وَيُنْحَازُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَدَائِنِهِمْ وَحِصُونِهِمْ"⁽⁷⁾.

- (1) ابن ماجة، سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د ط، القاهرة، رقم الحديث 223، ج1، ص 81.
- (2) أبو داود، المصدر السابق، رقم الحديث 2525، ج3، ص 16.
- (3) النسائي، سنن النسائي (كتاب الجهاد)، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، القاهرة، 1348هـ-1930م، رقم الحديث 3176، ج6، ص 43.
- (4) أبو الحسين مسلم، صحيح مسلم (كتاب فتن وأشرف الساعة)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ط، القاهرة، 1374هـ-1900م، رقم الحديث 2920، ج4، ص 2238.
- (5) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 65-66.
- (6) أحمد ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، القاهرة، 1421هـ/2001م، ج18، رقم الحديث 11731، ص 258.
- (7) نفسه، ص 257.

وإن كان الحديث النبوي الشريف قد أورد معان عديدة للمدينة، فقد اتفق مدلولها وفق ما جاء في القرآن الكريم في بعضها من جهة، والمفهوم اللغوي من جهة أخرى، وإن كان من الواضح تمييز المدينة حسب خصوصياتها وأدوارها ووظائفها.

3.1 المدينة لغة واصطلاحاً:

-لغة:

لقد ذكرت كلمة المدينة في العديد من المعاجم اللغوية العربية، وحملت معان مختلفة وفق ما يلي:

إن أصل كلمة مدينة في اللغة العربية يرجع إلى "مَدَنَ بالمكان"، وبمعنى مَدَّنَ بالمكان أقام به ومنه سميت المدينة وهي فعيلة، وتُجمعُ على مدائن بالهمز، وتصح أيضاً على مُدُنٍ ومُدُنٍ، وفيه قول آخر أنها مفعلة من دِنْتُ أي ملكْتُ وفلان مَدَّنَ المدائن أي مَصَّرَ الأمصار⁽¹⁾.

مَدَّنَ، تَمَدَّنَ فلان، بمعنى أتى المدينة، تَمَدَّنَ، عاش عيشة أهل المُدُن وأخذ بأسباب الحضارة، تَمَدَّنَ عاش عيشة أهل المدن والمدينة الحضارة واتساع العمران، (المدينة) المِصْرُ الجامع، وجمعها مَدَائِنُ ومُدُنٌ، والمدينة اسم يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم⁽²⁾. ولقد أورد الفيروز آبادي معنى آخر للمدينة فهي عنده تعني الحصن يبني في أسطمة أرض "والأسطمة معظم الشيء وتمامه أي وسطه، وجمعها مَدَائِنُ ومُدُنٌ ومُدُنٌ، ومَدَّنَ: أتاها، والمدينة: الأمة"⁽³⁾.

(1) الجوهري، الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد تامر، دار الحديث، د ط، القاهرة، 1430 - 2009م، مج1، ص 1069.

(2) ابن منظور، المصدر السابق، ج2، ص 859.

(3) الفيروز آبادي، المصدر السابق، مج1، ص 1518.

وَمَدَنَ المَدَائِنَ تَمْدِينًا: أي مَصَّرَهَا، وَتَمَدَّيْنَ الرَّجُلَ: تَنَعَّمَ وَ(مَدَنَ مَدْنًا): إِذَا أَتَاهَا⁽¹⁾.
ومصر هي المدينة المعروفة، تذكر وتؤنث، والمِصْرُ: واحد الأمصار، والمصران: الكوفة
والبصرة والمصر أيضا: الحد والحاجز بين الشينين⁽²⁾. ويقال: اشترى الدار بمُصُورِهَا، أي:
بحدودها⁽³⁾.

والمِصْرُ: الحَدُّ في كل شيء وقيل: المِصْرُ الحَدُّ في الأرض خاصة، والمِصْرُ: الكُورَةُ،
وَمَصَّرُوا المَوْضِعَ: جَعَلُوهُ مِصْرًا، وَتَمَصَّرَ المَكَانُ: صَارَ مِصْرًا، وَمِصْرٌ: مَدِينَةٌ بَعِينِهَا،
سميت بذلك لتمصرها، وقد زعموا أن الذي بناها إنما هو المِصْرُ بن نوح عليه السلام.
وقال الليث: المِصْرُ بكلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود ويقسم فيها الفياء والصدقات من
غير مؤامرة للخليفة، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مَصَّرَ الأمصار منها البصرة
والكوفة، وعند الجوهري: فلا مَصَّرَ الأمصار كما يقال مَدَّنَ المُدُنَ⁽⁴⁾.

واستخدم اللغويون تعابيرا ومفاهيم أخرى لتشير إلى المدينة، إضافة إلى كلمة مصر
لفظ حاضرة ومدرة، أما بشأن الحاضرة والحضارة فترجع إلى الفعل الثلاثي حضر والحضارة
تعني الإقامة في الحضر أي المدن، والحاضر هو الشخص الذي يقيم في الحضر والمدينة،
ومدرة جاءت من مدر الذي يعني الطين العلك، والعرب تطلق على القرية تعبير مدرة ومدرة
الشخص بلدته والمدرة المدينة الضخمة ذات البناء الصلاد⁽⁵⁾.

مما يستخلص أن كلمة مدينة في اللغة اختلفت وتعددت معانيها والألفاظ التي تدل عليها،
وإن كانت في معظمها تدل على المكان الذي يجمع الناس للسكن والاستقرار والتفاعل
البشري من ذلك.

(1) الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء المجلس الوطني للثقافة
والفنون والآداب، دط، الكويت، 1385هـ - 1422هـ/1965-2001، ج6، ص 157 - 158.

(2) الجوهري، المصدر السابق، ج2، ص 817.

(3) الهروي، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2001م، ج12، ص 129.

(4) ابن منظور، المصدر السابق، ج5، ص 176.

(5) طه خضر عبيد، المرجع السابق، ص 25.

- اصطلاحا:

حدد العرب سمات المكان الذي يتخذ دورا للمدينة حيث اختلفت المفاهيم الاصطلاحية للمدينة وفق ما يلي:

يعرف الموسوي المدينة بأنها ظاهرة متميزة عن غيرها من الظواهر التاريخية الأخرى التي نشأت بسبب أو بآخر على سطح الأرض من نواحي متعددة⁽¹⁾.

والمدينة اصطلاحا تعني انتماء حد معين من السكان إلى موقع جغرافي متميز، يتفاعلون على شكل ظاهرة اجتماعية متعددة الوظائف، قوامها إدارة وطبقات من السكان يتوزعون وفق صفات اقتصادية وثقافية في إطار قانوني ينظم العلاقات والأفعال⁽²⁾.

ويعرف الشاورة المدينة بأنها البيت الذي يجمع سكانها الحضر، ويتبادلون فيها شتى المعارف والثقافات، ويجرون التجارب العلمية التي تخدم الإنسانية، إنها الأساس السليم لتوجيه التخطيط الحضري إلى الخطط السليمة والمناسبة التي تتفق مع احتياجات الناس، وكل الناس دون تلوث أو تشرد أو مجاعات⁽³⁾.

كما يشير غالب عبد الرحيم إلى أن المدينة "قرية كبيرة كثيرة السكان ومن أقوال الحكماء أن المدينة تبنى على ثلاثة أشياء الماء والكلاء والمحطب"⁽⁴⁾.

والمدينة شكل متطور من أشكال التجمع البشري، صاغت نماذج وأساليب حياتية تتماشى مع طابعها الاجتماعي وبنيتها العمرانية والاقتصادية والايكولوجية وقد بلغت الحياة في المدينة بشكل عام ذروة التعقيد والتحول مما جعل أنماطها المعيشية تتغير من أجل أن

(1) الموسوي مصطفى عباس، المرجع السابق، ص 21.

(2) يسار عابدين، مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، ع 1، 2012، مج 28، ص 155.

(3) الشاورة علي أحمدان، العمران الريفي والحضري، ط2، جامعة القدس، 2008، ص 10.

(4) غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس يرس، بيروت، د ط، لبنان، 1986، ص 362.

تتماشى مع التكوينات الحضرية المعاصرة وأصبح يتعين على ساكنيها التكيف والتوافق مع أوضاع وظروف المدينة⁽¹⁾.

وتعددت مفاهيم المدينة بمعناها الاصطلاحي ولهذه المفاهيم ارتباطا وطيدا بمدى نشأة المدن وتطورها وتركيبتها الاجتماعية. ويعرفها لويس ويرت (Louis werth) على انها نمط من أنماط التباين السكاني ومكان للإقامة يتميز بالكبر والكثافة يسكنه أفراد غير متجانسين، أما روبرت بارك (Robert parck) فيرى أن المدينة ليس مجرد تجمع للناس أو مجموعة من النظم والإدارات بل هي أيضا نتيجة لتفاعل ثقافات الأفراد وعاداتهم وتقاليدهم المتوارثة ويحددها بأنها مكان إقامة طبيعي للإنسان المتمدّن، فهي تعتبر منطقة ثقافية تتميز بنمطها الثقافي، وهذا التعريف أشمل للمدينة لأنه ينطلق من سبب نشأتها وهو تجمع الناس ثم يحدد علاقتها بتمدن الإنسان⁽²⁾.

لم يتفق الباحثون على تعريف محدد للمدينة، وإن كانت المدينة كمظهر عمراني مألوف يمكن تمييزها عن القرية بوضوح سواء في شكلها المورفولوجي الخارجي، أو في وظائفها أو حتى نموها وتطورها، وعلى العموم تتفق آراء الباحثين على أن المدينة هي مركز التركيز السكاني والعمل والترفيه، وإن كان هناك حدّ أدنى للحجم السكاني فيها⁽³⁾.

ومما يلاحظ أن مدلول المدينة ومعناها لا يتوافق مع مفهوم القرية، إذ إن المدينة تجمع سكاني كبير ضمن محيط عمراني متميز في موقع جغرافي واسع، وتجمع بين الوظيفة الإدارية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وفق ما يتناسب وخصوصية مجتمعاتها.

(1) هادفي سمية، سوسولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 17، 2014، ص 170.

(2) مريم بوعامر، نشأة وتطور المدينة الإسلامية وخصائصها المميزة لها، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات، جامعة أدرار، الجزائر، ع2، 2022م، مج 10، ص 394-395.

(3) جودة حسنين جودة، فتحي محمد أبو عيانة، كتاب قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار المعرفة الجامعية، دط، دم، ص 429.

والمدينة الإسلامية هي التي تضم كل المدن التي عاش فيها المسلمون، أو شهدت ولو لفترة من تاريخها تأثيرا إسلاميا⁽¹⁾.

وهي جماع الحضارة الإسلامية في كافة نواحيها، فهي صورة المجتمع الإسلامي من جهة ومجال تطبيق نظمه السياسية وموضع تحصيناته وتصوره للسلم والحرب ومركز اقتصادي وإداري ومكان مؤسساته الثقافية ومرافقه، وهي بدورها قد تطورت كل التطور على مر القرون الإسلامية من جهة⁽²⁾.

والمدينة الإسلامية العربية ليست مجرد ظاهرة جغرافية أو تاريخية فحسب، بل هي أولا وقبل كل شيء ظاهرة دينية اتسمت بتعبير وتنظيم مكاني حسب ما جاء في التشريع الإسلامي، إذ امتزجت فيها القوانين المادية بالقيم الروحية، لهذا فإن المدينة الإسلامية تعد انعكاسا لنظام عقائدي واجتماعي وثقافي، فنسيجها الحضري وتكوينها الفضائي جاء نتيجة لتفاعل الإنسان مع بيئته الحضرية تحت مفهوم عام هو الإسلام⁽³⁾.

إن المدينة بوصفها القطب الدائر لحركة الإنتاج والتوزيع والتبادل الثقافي والاقتصادي، وملتقى للتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية، هي الخلية الحية الأساسية في حضارة كل مجتمع بشري في الماضي والحاضر، وكذلك كانت الأرياف ولا تزال تابعة للمدن التي تخدمها بمدى بالمنتجات التي تحتاج إليها وباستهلاك منتجاتها، وبتزويدها بالخراج ومختلف أنواع الضرائب وهي لا تكتسي أهمية ما، إلا بوصفها خلفية للمدينة التي تدور في فلكها، وهذا الوصف يصدق بصفة خاصة على المدن في الحضارة الإسلامية⁽⁴⁾.

(1) احمد علي إسماعيل، المدينة العربية والإسلامية توازن الموقع والتركييب الداخلي، رسائل جغرافية، نشرة دورية محكمة تعنى بالحوث الجغرافية، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت والجمعية الكويتية، 1407هـ - 1987م، ص 6.

(2) شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، دار طلاس للدراسات والنشر، ط1، د م، 1408هـ - 1988م، ج1، ص 10 - 11.

(3) ميادة عبد الملك محمد صبري، تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية مدينة دمشق القديمة نموذج لقمة التعايش والتعامل في المنظور الاسلامي، مجلة كلية التربية واسط، معهد التخطيط الحضري للدراسات العليا، ع 11، دت، ص 2.

(4) إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، الجزائر، 1984، ص 7.

4.1 المدينة في نظر الجغرافيين:

نالت المدن الإسلامية اهتماماً واسعاً لدى الجغرافيين والرحالة العرب، فعملوا على وصف المدن وتصنيفها، وكتبوا عن الجوانب الجغرافية لكل مدينة من حيث الموقع والمناخ والموارد المائية والسكان⁽¹⁾.

كما وصفوا معايير تميز المدينة عن المراكز الاستيطانية، وكانت لهم وجهات نظر متنوعة تختلف من مدينة إلى أخرى وفقاً لأرائهم بين المدينة، البلد، القرية، الكورة والقصبة⁽²⁾.

فوجد ابن خردادبة في "المسالك والممالك" يرى أنّ المسافات بين بغداد والمدن في كل الاتجاهات وسمى المدن بأنها كورة كذا⁽³⁾.

في حين عمد اليعقوبي إلى تصنيف المدن حسب حجمها فقسمها إلى مدن كبيرة، متوسطة، وصغيرة، ثم صنفها على أساس الحضر والريف⁽⁴⁾، ولم يكتف بذلك بل وضع تصنيفاً آخر، وهو تصنيف من حيث القدم والحداثة فهناك ما أسماه بالمدن القديمة القائمة قبل ظهور الإسلام كقوله "ملطية قديمة"⁽⁵⁾ في بناء الإسكندر المقدوني، وهي في بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام⁽⁶⁾، أما الصنف الثاني يقصد به المدن التي أسسها العرب المسلمين الفاتحين ونعتها بالجند أو المسالح⁽⁷⁾.

(1) الكناني صباح خلف جبر، جغرافية المدن في كتب التراث العربي الجغرافي الإسلامي، مجلة التراث العربي العلمي، ع1، جامعة بغداد، 2012، ص250.

(2) طه خضر عبيد، المرجع السابق، ص26.

(3) ابن خردادبة، المسالك والممالك، دار صادر، د ط، بيروت، 1889م، ص93.

(4) إيمان جاسم الطيف السامرائي، مفهوم المدينة الإسلامية وتصنيفها عند اليعقوبي من خلال كتاب البلدان، الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، ع3، العراق، 2016م، مج3، ص222.

(5) اليعقوبي، البلدان، المكتبة المرتضوية، د ط، العراق، 1337هـ، 1918م، ص205.

(6) نفسه، ص205.

(7) إيمان جاسم الطيف السامرائي، المرجع السابق، ص202.

اعتمد اليعقوبي على مقاييس لتحديد المستوى التمدني والحضاري للمدينة، وهي حجم المساحة، كثافة السكان، وتعدد الأجناس، ومستوى العمارة، والنشاط الاقتصادي، وبناء على هذه المعايير جاء تصنيفه للمدن من مدن عظمى يتركز فيها الحكم، والإدارة ويسكنها الملك فضلاً عن سعة حجمها، وكثافة سكانها، وتنوع اقتصادها⁽¹⁾، فيصف الزاب العظمى "طبنة وهي التي ينزل بها الولاية، وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والعجم والأفارقة والبربر"⁽²⁾.
المدينة الجليلة وهي أقل شأنًا من المدن العظمى التي تخضع لها سياسياً وإدارياً تسيطر على الريف، كما صنف أيضاً القرى إلى قرى عظام وأخرى صغيرة بحسب الحجم وكثافة السكان والنشاط الاقتصادي⁽³⁾.

ويصنف ابن الفقيه المدن إلى مدن كبيرة عظيمة، حصينة ومدن صغيرة⁽⁴⁾.

ونجد الاصطخري وصف العالم الإسلامي وقسمه إلى عشرين إقليمًا، كمناطق جغرافية⁽⁵⁾، ومن الجوانب المهمة التي تم التركيز عليها في دراسته للمدن مياه الشرب⁽⁶⁾، ويقول "ما رأيت خاناً (7) أو طرفاً (8) سكة أو محلة أو مجمع ناس في الحائط بسمرقند يخلو من ماء مسبّل بجمده (ماء مثلج) (9)".

(1) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 205

(2) نفسه، ص 205.

(3) إيمان جاسم الطيف السامرائي، المرجع السابق، ص 225.

(4) طه خضر عبيد، المرجع السابق، ص 25.

(5) عبد الرحمان حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، د ط، دمشق، 1416هـ-1995 م، ص 199.

(6) الكنانى صباح خلف جبر، المرجع السابق، ص 251.

(7) خاناً: موضع بأصبهان وهي المنازل التي يسكنها التجار، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 2، ص 341.

(8) سكة: الطريق المستوية المصطفة من النخل وبذلك سميت الأزقة سكةً لاصطفاف الدول. فيها، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 3، ص 231.

(9) الاصطخري، المصدر السابق، ص 140.

ومن الجغرافيين أيضا الذي ركز على تصنيف المدن ابن حوقل وجزأها إلى: مدن كبيرة⁽¹⁾ ومن أمثلتها مدينة قرطبة⁽²⁾، وإلى مدن وسط حيث نمت مدينة برقة في إقليم المغرب⁽³⁾ في أنها مدينة وسط المغرب وإلى مدن كذلك فوق الصغيرة ويصف في ذلك⁽⁴⁾ المدينة تنس⁽⁵⁾ في المغرب وإلى مدن صغيرة حيث جاء هذا التعبير في وصفه مدينة النهروان وهي صغيرة عامرة من بغداد⁽⁶⁾.

قام المقدسي بابتكار نظام خاص قسم بموجبه المدن إلى أربع مراتب⁽⁷⁾، فجعل الأمصار هي مراكز السلطان الأعظم والقصبة هي بمكانة الوزير ووظيفتها عاصمة إقليمية والمدينة مكانها مكانة الفرسان في الجيش والقرية مثل المشاة والرجالة⁽⁸⁾.

كما حدد خصائص المدينة بقوله «وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حلّه السلطان الأعظم وجمعت فيه الدواوين وقلدت فيه الأعمال وأضيفت إليه الأقاليم»⁽⁹⁾.

مما لا شك فيه أن التصنيفات التي وضعها الجغرافيون العرب المسلمين مرتبطة برؤية واضحة تميز كل منها عن الآخر وفق معايير حضرية محددة من خلال أوصاف الجغرافيون للمدن أمكن تحديد هذه المعايير كالمعيار السياسي وما يرتبط به من وجود السلطة الإدارية

(1) يوسف يحيي طعماس، المدينة في الفكر الجغرافي، مجلة كلية الآداب، ع23، بغداد، 2001م، ص15.

(2) قرطبة: مدينة عظيمة بالأندلس، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص324.

(3) إقليم المغرب: يمتد على بحر المغرب في غربيه يمتد من مصر برقة إلى إفريقية الى سبتة وطنجة، وأما الشرقي فهو بلد الروم من حدود الثغور الشامية إلى القسطنطينية، ثم باقي ذلك إلى آخره للعرب في يد أصحاب الأندلس، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، د. ط، بيروت، 1992، ص63.

(4) يوسف يحيي طعماس، المرجع السابق، ص15.

(5) تنس: مدينة محصنة مسورة تقع إلى آخر إفريقية مما يلي المغرب، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج2، ص48.

(6) يوسف يحيي طعماس، المرجع السابق، ص15.

(7) أسماء محمد سلطان الهداوي وآخرون، المدينة وخصائصها عند المقدسي، مجلة الآداب، ع136، العراق، 1442هـ/2021م، ص465.

(8) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار صادر، ط3، بيروت، 1411هـ/1991م، ص47.

(9) نفسه، ص47.

والقضائية ووجود الأسواق وكبر المساحة وزيادة كثافة السكان وتوافر المرافق العامة كالحمامات والمساجد الجامعة وتوفر مياه الشرب، وما يرتبط بذلك من عوامل مساعدة على ازدهار حياة المدينة كالحصن والأسوار والمناخ الجيد ووفرة مصادر الماء⁽¹⁾.

ومن خلال ما تم ذكره من آراء مختلفة للجغرافيين العرب المسلمين حول المدينة، تصنيفها، أهميتها، خلصنا إلى ما يلي:

رغم اختلاف الجغرافيين العرب المسلمين في بعض التعابير التمدنية إلا أنهم يتفون حول خصائص المدينة من سلطان يتولى شؤون الرعية وقيادة الجيش وسور حصين يأمين سلامتها ووفرة التموين الزراعي لاستمرارها وعدم اندثارها.

سبق الفكر الجغرافي في إدراكه المقاييس والمعايير التي تميز المدينة من سلطة ممثلة في الحاكم ومنشآت وتكوينات ارتبطت بها مصالح ساكنيها.

2. الشرط الاقتصادي في تأسيس المدينة:

تختلف المدن وتتنوع باختلاف وظائفها، وظروف إنشائها ومواقعها ومواقعها، والمؤثرات التي تؤثر على نموها وتطورها، وهو أمر يظهر جلياً عندما نتعرض بالدراسة لمدينة بعينها دراسة تفصيلية، ولكن من خلال مصادر التراث الإسلامي يمكن أن نعرض لمفاهيم نظرية أساسية أشار المفكرون المسلمون إلى ضرورة الأخذ بها عند اختيار مواقع المدن وتخطيط مواقعها⁽²⁾.

ومما يلفت النظر أن ثمة مواصفات معينة وضعها المسلمون لمواقع المدن، وقد جاءت تلك المواصفات والخصائص في مؤلفات مختلفة، وإذا كان أشهر الذين أثبتوا تلك الشروط هو "ابن خلدون" فقد سبقه في ذلك بأكثر من خمسة قرون مؤلف آخر وهو "ابن الربيع"⁽³⁾.

(1) عثمان محمد عبد الستار، المرجع السابق، ص 21.

(2) نفسه، ص 26.

(3) وليد عبد الله المنيس، التفسير الشرعي للتمدن، النشرة الجغرافية لقسم الجغرافيا والجمعية الجغرافية الكويتية، ع 62،

1948م، ص 21.

ولإنشاء المدن حسب ابن الربيع ست شروط تجب مراعاتها في اختيار موقع المدينة

وهي:

أحدهما: "سعة المياه المستعذبة".

والثاني: "إمكان الميرة⁽¹⁾ المستمدة".

والثالث: "اعتدال المكان وجودة الهواء".

والرابع: "القرب من المرعى والاحتطاب".

والخامس: "تحصين منازلها من الأعداء والدُّعَار"⁽²⁾.

والسادس: "أن يحيط بها سواد⁽³⁾ يعين أهلها"،

ثم يحدد ثمانية شروط أخرى يراعيها الحاكم عند تخطيط موضع المدينة واتخاذ المصر، أحدها: "أن يسوق إليها الماء العذب ليشرب أهلها ويسهل تناوله من غير عسف"، والثاني: "أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق"، والثالث: "أن يبني جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها"، والرابع: "أن يقدر أسواقها بحسب كفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب"، والخامس: "أن يميز بين قبائل ساكنيها بألا يجمع أصدادا متباينة"، والسادس: "إن أراد لسكانها فليسكن أفسح أطرافها ويجعل خواصه محيطين به من سائر جهاته"، والسابع: "أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء"، والثامن: "أن ينقل إليها أهل العلم والصنائع بقدر الحاجة لسكانها حتى يكتفوا ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها"⁽⁴⁾.

مما يتضح من فلسفة ابن الربيع في اختيار مواقع المدن، وتخطيط مواضعها ورود الأساس الاقتصادي كأثر بارز في تصميم المدينة حتى قبل تعميمها، وذلك باختيار موقعها، ومن ثمة تعميمها بالناس في قوله: "القرب من المرعى والاحتطاب" كإشارة للمواقع التي

(1) الميرة: الطعام، والامتياز شراء الطعام. ينظر ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع ت: 272هـ)، سلوك

المالك في تدبير الممالك، تح: عارف احمد عبد الغني، دار كنان، د ط، دمشق، 1996م، ص106.

(2) الدُّعَار: أصحاب السوابق والزعارات الذين يذعرون الناس ويخوفونهم. ينظر، نفسه، ص106،

(3) السواد: أراضي زراعية وقرى مأهولة، وقد تكون الكلمة مصحفة وهي (سور). ينظر، نفسه، ص 106.

(4) نفسه، ص 106 - 108.

تصلح للاستقرار ونشاط الإنسان، وهو ما يتلاءم مع حاجة الناس والمجتمع، ولا شك أن العرب الذين ألفوا حياة البداوة وامتهنوا حرفة الرعي، والزراعة يحتاجون إلى مراعاة لإبلهم وماشيئهم، كما يحتاجون إلى الحطب سواء كوقود للنار، أو كمادة أولية للبناء والتسقيف، فالخشب مورد اقتصادي هام لتأمين الاحتياجات.

إضافة إلى شروط اقتصادية أشار إليها ابن الربيع، كما وافقه في تلك الشروط العديد من المفكرين من بعده، وهو وفرة الماء "لينتفع بها القريب والبعيد"، فالماء من الشروط الطبيعية الاقتصادية الأساسية في اختيار المواقع، وإنشاء المدن وتمصيرها، فهو عصب الحياة وشريان الأنشطة البشرية وعامل لتوسع العمران وجذب السكان، فسعة المياه العذبة شرط أساس في تخطيط المدينة عند ابن الربيع أدرج في قمة هرم باقي الشروط عند هذا المفكر.

وأشار المفكر إلى ضرورة إمكان الميرة أو الطعام، بتوفير الغذاء والتموين من الأسس الهامة في نشأة المدن واستمراريتها، فكفاية الناس من المؤونة الغذائية يُجَبِّههم الارتحال بحثاً عن حاجتهم.

وأورد ابن الربيع شرط إحاطة المدينة بسواد يعين أهلها، أي توفر أراضي زراعية للتموين وسد الاحتياجات بالقرب من الموضع المخطط له.

وإضافة إلى الشروط السابقة التي رُوِّعيت في اختيار موقع المدينة نجد أن المفكر وضع شروطاً لتخطيط موضع مدينة معينة، وهي كأن يسوق لها الماء للشرب فيسهل على الناس الحصول عليه من دون جهد أو مشقة، فعن طريق شق القنوات ونقل وجلب المياه القريبة يمكن الناس منها، ويكون ضماناً لتزويد الموضع بالمياه في حالة ما إذا كان بعيداً عن مصادرها وهو ما سنلمسه في أعمال ولاية البصرة بشكل خاص، حيث أنها افتقرت للمياه العذبة وطغت على المياه فيها سمة الملوحة وانتشار السباح.

فالماء شرط اقتصادي ومورد أساسي طبيعي في بناء المدن، ويجب مراعاة وجوده ووفرته لتمكين الاستقرار، وتعمير البقاع وازدهار الأعمال، وأضاف المفكر "ابن الربيع" شرط مراعاة تناسب الشوارع مع حركة الناس ومرورهم، ونشاطاتهم بالحرص على توسعة الأزقة والشوارع وتقديرها حتى لا تضيق أثناء حركة الجيوش بصفة خاصة، وأهل المدينة بصفة عامة، ولا شك أن الطرقات والمنافذ عامل أساس في تنشيط الحركة الاقتصادية، وتبادل البضائع، وبتقدير الأسواق حسب كفاية الناس وحاجتهم يكون الاجتماع وتفاعل الأفراد، فالسوق مرفق أساسي في المدينة لا بدّ من توفّره، وشرط اقتصادي لتموين الناس عن قرب فلا يحتاجون إلى التنقل والارتحال لجلب حوائجهم، وأشار إضافة إلى ذلك إلى أساس آخر وهو نقل أهل العلم والصنائع لكفاية الناس فيستغنون بذلك عن الخروج إلى غير مدينتهم لظروف الحياة والحاجة.

ومما لا شك فيه أن طرق المدينة حلقات وصل لأسواقها، وعامل مهم في تنشيط التبادلات التجارية داخليا وخارجيا، كما أن السوق من المرافق الضرورية لحياة التمدن وعامل جذب سكاني مهم فإن حصلت كفاية السكان كان استقرارهم بشكل دائم.

وإن كانت بقية الشروط المشار إليها في تخطيط المدينة الإسلامية غير اقتصادية كبناء مسجد جامع في الوسط ليقرب على جميع أهلها، وتحصين المنازل من الأعداء أو التمييز بين سكانها فالغاية من تلك الشروط فرض الاستقرار وتأمين المدينة وضمان سلامتها، ولا شك أن ذلك يجنب الناس الاضطرابات السياسية، وتستمر أنشطتهم الاقتصادية وتزدهر مدينتهم تجاريا وحرفيا وصناعيا وثقافيا، ويحصل التعمير والتوسع نتيجة لذلك ويزيد الخلق وتقضى الحوائج، انطلاقا من توفير مسجد جامع وحوله سوق ودار إمارة لضمان استمرار الاقتصاد فيها لتأثير الجوانب الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فيما بينها، وإن كان لتخطيط المدن الإسلامية شروطا متعددة إلا أنّ العامل الاقتصادي يعدّ أساس تلك الشروط.

فالماء شرط أساسي في اختيار مواقع المدن، عليه تقوم الحياة وسعة المياه نظرة مستقبلية لازدياد متوقع في عمران المدينة، أما توفير الغذاء فهو شرط أساسي لنشأة المدن واستمرار حياتها، فيكون موقعها مرتبط بالإقليم وبالطرق التجارية الرئيسية فينعكس ذلك على رخائها، ويؤكد شرط اعتدال المكان على أهمية المناخ، والاعتبارات الصحية في اختيار المسلمين لمواقع مدنهم لأهمية التفاعل بين الإنسان وبيئته الطبيعية، كما أن توفر الزرع والمرعى والوقود والغذاء والأخشاب اللازمة للبناء من مقومات ازدهار المدن لتأمين مصادرها واحتياجاتها الأولية، وعند اختيار موقع المدينة فلا بد من تحصينها بالمعالم الطبيعية الحاجزة التي تعين على دفع الأخطار (نهر مثلاً)، وزيادة على ذلك يجب إحاطتها بسور زيادة في التحصين والحماية⁽¹⁾.

وقالت الحكماء ان احسن مواضع المدن أن تجمع خمس أشياء وهي: النهر الجاري، والمحراث الطيب، والمحطب القريب، والسور الحصين، والسلطان إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبايرتها⁽²⁾.

ولا شك أن من شروط الاستقرار الاقتصادية وأسسها، أن يتوفر في الموقع الذي تحتله المدينة المراعي والأراضي الزراعية الخصبة ذات المياه لأجل الإنتاج الحيواني والزراعي، وتوفير المؤونة الغذائية وتوفر الأشجار من أجل مادة الحطب، والقرب من الماء يساهم ويسهل توفير تلك الشروط، وبالتالي تبقى المدينة في الوجود إذا توفر الزرع والمرعى والوقود والغذاء والأخشاب.

فإنّ الناس لو اجتمعوا في صحراء لتأذوا بالحر والبرد والمطر والريح، ولو تستروا بالخيام والخرقاهات لم يأمنوا مكر اللصوص والعدوّ، ولو اقتصروا على الحيطان والأبواب

(1) خليف مصطفى غرابية، منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع نموذجاً)، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ع 1، 2015، مج 8، ص 190.

(2) ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، د ط، الرباط، 1972، ص 33.

كما ترى في القرى التي لا سور لها لم يأمنوا صولة ذي البأس، فلا بد من اتخاذ السور والخندق والفصيل، فالملوك الماضية عندما أرادوا بناء المدن، أخذوا آراء الحكماء الذين اختاروا أفضل ناحية في البلاد وأفضل مكان، وأعلى منزل من السواحل والجبال ومهب الشمال، لأنها تقيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها، واحترزوا من أعماق الأرض والجزائر، لأنها تورث كربا وهما(1).

ومن شروط المدينة حسب ابن القاضي ان الحكماء قالت: "لا تستوطن إلا بلدا فيه سلطان حاضر وطبيب ماهر ونهر جار، وقاض عادل، وعالم عامل، وأسواق قائمة"، وقالت الحكماء أيضا "أحسن المدن هي التي تجمع خمسة أشياء نهر جار، ومحرت طيب، وحطب قريب وسور حصين وسلطان قاهر إذ به صلاح أهلها وتأمين سبلها(2).

وعلى منشيء المصر في حقوق ساكنيه ثمانية شروط وهي: أن يسوق إليه ماء السارية إن بعدت أطرافه، إما في أنهار جارية أو حياض سائلة، يسهل الوقوف إليه من دون تعسف، إضافة إلى تقدير طرقة وشوارعه بأن تتناسب ولا تضيق بأهلها فيستضر المار بها، وأن يكون بناء جامع للصلوات في وسطه ليقرب على جميع أهله، وتقدير الاسواق بحسب الكفاية وفي مواضع الحاجة، وأن يميز خطط أهله وقبائل ساكنيه ولا يجمع بين أصدقاء متنافرين أو أجناس مختلفين، وسكن الملك في أفسح أطرافه إن أراد الاستيطان وخص أهله بالعدل وأن يحوطهم بسور حتى لا يدخل عليهم إلا من أرادوه، ولا يخرج عنهم إلا من عرفوه، وأن ينقل إليه من أعمال أهل العلوم والصنائع حتى يكتفوا بهم(3).

أما "ابن خلدون" فمتطلبات إنشاء المدن أن تقع المدينة في موقع استراتيجي حصين، كأن تكون على هضبة متوعرة، أو تكون في استدارة بحر، أو إنحناء نهر حتى لا يصل

(1) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دط، بيروت، ص 7-8.

(2) المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، د ط، الرباط، 1973-1393هـ، ص 42.

(3) الماوردي، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تح: محيي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، د ط، بيروت، ص 163.

إليها العدو إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيسهل ذلك الدفاع عنها، وقربها من طرق التجارة البحرية والبرية لأهمية التجارة في قيام المدن، وأن تؤسس بموضع طيب الهواء حتى لا يتعرض أهلها للأوبئة وتجنب المناطق التي يركد فيها الهواء أو التي تجاور المستنقعات، إضافة إلى شرط وقوعها في مناطق زاخرة بالمرافق كالمياه والمراعي كأن تقع على نهر أو بجانب الينابيع العذبة، كما يجب مراعاة بناء المدن في المرتفعات إذا كانت تقع على السواحل لتأمينها⁽¹⁾.

فالهواء إذا كان راكدا خبيثا، أو مجاورا للمياه الفاسدة أو لمنافع متعفنة أو لمروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها: فاسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة وهذا مشاهد والمدن التي لم يراعَ فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب، وأما جلب المنافع للبلد فيراعى فيه أمورا منها الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائها عيون عذبة، فوجود الماء قريبا من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضرورية، ومما يراعى فيه طيب المراعي لسائمتهم، إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوان للنتاج والضرع والركوب، ولا بد لها من مرعى، ومما يراعى المزارع فإن الزروع هي الأقوات ومن ذلك الشجر للحطب والبناء، وهو ضروري لسقفهم، كما يراعى القرب من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية⁽²⁾.

وقد تناول ابن خلدون في مقدمته شروطا اقتصادية لتعمير المدن الإسلامية إضافة إلى شروط أخرى، فقد اهتم على غرار باقي العلماء المسلمين بنشأة المدن الإسلامية وعمرانها، وقد تضمنت مقدمة ابن خلدون أفكارا ارتبطت بالعديد من العوامل، كالعامل العسكري والتمثل في ضرورة التحصين الدفاعي للمدينة باتخاذ الموقع الاستراتيجي الحصين، الذي

(1) هادي عبد الفتاح المحاسنة وآخرون، فلسفة ابن خلدون في تخطيط المدينة الإسلامية، بحث، مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، مصر، العدد92، 2018، مج68، ص 412- 413- 414.

(2) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وما عاصروهم من ذوي الشأن الأكبر، مرا: سهيل دكار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1401هـ - 1981م، ج1، ص 433- 434.

يصعب على العدو التمكن من المدينة بمراعاة أن تكون البلدان الساحلية على جبل أو مرتفع لتسهيل حمايتها والدفاع عنها، إضافة إلى العامل الاجتماعي الصحي باختيار المواضع ذات الهواء النقي غير الموبوء للسلامة الاجتماعية من الأمراض.

والمتطلبات الاقتصادية عند المفكر ابن خلدون تعدّ أهم الأسس والعوامل، ومعظم ما ذكر من متطلبات بصورة عامة في بناء وتعمير المدن، حيث أشار المفكر إلى ضرورة مراعاة القرب من البحر لتسهيل الحاجات الضرورية لساكنيها، فالموقع الجغرافي المهم والحيوي الذي تشرف عليه المدينة مع القرب من الطرق التجارية وتوسطها يلعب دورا هاما في تسهيل الاتصال، وتنشيط حركة التجارة سواء على مستوى الطرق البرية أو البحرية منها، وقد أدرك العرب المسلمون أهمية المواقع التي تتميز بطرقها برية وبحرية أو نهريّة لمدى دورها في حركة السكان واجتماعهم والتبادل التجاري، وبالتالي تطور المدن وتوفير فرص العمل التي تزيد من تركيز السكان وتوسع العمران.

كما أدرج المفكر أهمية مراعاة وفرة المرافق الضرورية كالماء وطيب المراعي للإنتاج الحيواني، ومراعاة المزارع من أجل التموين الزراعي، فاستحسن ابن خلدون أن تقع المدينة على نهر أو بجانب الينابيع، وهو ما يزيد في الإنتاج إضافة لأهمية الشجر والنبات بصفة عامة للحطب، كمورد طبيعي اقتصادي لوقود النيران وللطبخ، وكذلك لأشغال البناء.

ويعرض ابن الأزرق أفكاره فيما يجب مراعاته في أوضاع المدن أصلا من مهمان، وهما: دفع المضار، وجلب المنافع وحسبه المضار، نوعان: أحدهما أرضية ودفعها بإدارة سياج الاسوار على المدينة، ووضعها في مكان ممتنع، على هضبة متوعرة من جبل أو باستدارة بحر أو نهر بها حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيصعب منالها على العدو ويتضاعف تحصينها، والثاني من دفع المضار سماوية ودفعها باختيار المواضع

الطيبة الهواء، لأن ما خبث منه بركود أو تعفن لمجاورته لمياه فاسدة أو منافع متعفنة أو مروج خبيثة، يسرع المرض فيه للحيوان الكائن فيه⁽¹⁾.

وقد ذهب ابن الأزرق إلى ما ذهب إليه المفكر ابن خلدون في تحديد الشروط المراعاة في إنشاء المدن وتعميرها، والتي كان أساسها دفع المضار، كإشارة إلى تحصين الموضع وإشارة إلى اختيار الأماكن ذات المناخ الملائم باختيار الموضع طيبة الهواء التي تلائم الاستيطان البشري، وتضمن سلامة الحيوان وجلب المنافع كإشارة إلى وفرة المرافق الضرورية للتمكين للاستقرار، وتنشيط الحياة الاقتصادية، وذلك بجلب المياه العذبة الصالحة للشرب واستصلاح الأرض للزراعة وغيرها.

ونستطيع ضبط أهم الضوابط والأسس الاقتصادية التي حددها المفكرون لتخطيط المدينة وفق الجدول فيما يلي:

المفكر الإسلامي	الشروط الاقتصادية
ابن أبي الربيع	توفير الماء وسعته - تقدير الطرق والشوارع - تقدير الأسواق. الموقع وأهميته كالتقرب من المراعي - استمرار وجود الميرة أي الطعام.
القزويني	الأسواق - الأبواب - الموقع وفضله بأن يكون بأفضل ناحية وأفضل مكان.
ابن خلدون وابن الأزرق	دفع المضار وجلب المنافع - تسهيل المرافق (التقرب من طرق التجارة البحرية والبرية - المياه - المراعي).

نلاحظ من سبق أن من بين الشروط المذكورة في تخطيط المدن وبنائها نجد ما يلي:

(1) ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي ساسي النصار، منشورات وزارة الإعلام، ط1، العراق، د ت، ج2، ص 277.

الشروط الطبيعية: كالماء وهو المورد الأساسي لأهميته في اقتصاد المدينة، وشرط أساس لحصول الاستقرار والرخاء الاقتصادي للمدن.

الموقع الجغرافي وأهميته وانفتاحه على الطرق التجارية برية وبحرية ونهرية، وسهولة الاتصال به برا وبحرا.

المناخ الملائم وأهميته لاختيار المواقع كعامل جذب للسكان، وتأثيره في الإنتاج الزراعي والحيواني.

الشروط السياسية والعسكرية: بضرورة بناء السور الحصين لزيادة الحماية، وتأمين الموقع بالحصانة الطبيعية دفعا للأخطار.

وضرورة وضع سلطان عادل به صلاح حال المدينة، وحسن تسييرها من كل الجوانب بما في ذلك الاقتصادية، وفرض استقرار أمنها.

الشروط الاجتماعية: وهي حصول الاجتماع والاستقرار البشري، كنتيجة للتفاعل بين الإنسان وبيئته الطبيعية وتعمير المواضع نظرا لتوفر الأنهار الجارية.

ولكن نلاحظ أن الشروط الاقتصادية أخذت مساحة هامة أيضا من الشروط التي وضعها المفكرون فنجد:

الشروط الاقتصادية: وهي نتاج تفاعل وتأثير الشروط السابقة، إضافة إلى توفر طيب الأراضي كالأراضي الزراعية التي تضمن التموين الغذائي وتوفر الغطاء النباتي والغابات التي تسخر للسكان المحطب القريب من الأخشاب التي توفرها الأشجار بأنواعها من البيئات الخصبة والمتوفرة على الموارد المائية والتربة الملائمة والمناخ المناسب.

والتجارة من العوامل الهامة التي أدت إلى نشوء المدن، واعتبرت من المعايير التي تميزها، ومن هنا برزت أهمية اختيار موقع المدينة على الطريق الرئيسية وتوسط هذا الموقع ليقرب من أطراف التبادل الأخرى فينعكس ذلك على اقتصادها ورخائها وراثتها، ويشير

الطبري لهذه الحقيقة بقوله: "موضعا لا تغلو عليهم الأسعار ولا تشدّ فيه المؤنة، فإني إن أقمّت في موضع لا يجلب إليه من البر والبحر شيئا غلت الأسعار واشتدت المؤنة"⁽¹⁾.
فقد نشأت المدن لتؤدي وظائفها كان معظمها النشاط التجاري والصناعات الحرفية التي تعكس ظروف وعادات طبائع أهل المدن، وقد انفصلت مناطق الأنشطة والخدمات عن مناطق الإسكان، إذ ارتبط تخطيط الأسواق بتخطيط الجوامع باعتبارها مراكز جذب للكثافة السكانية وأثره غير المباشر في تخطيط الأسواق، حيث الأسواق القريبة من المسجد هي سوق الشماعين لوجوب الاستضاءة في الصلوات وسوق العطارين لوجوب التعطر بالجوامع ... وغيرها⁽²⁾.

فتحدد بذلك المعايير الاقتصادية في تخطيط المدينة بالنظر إلى موقعها الهام بالنسبة للطرق الرئيسية وتموضعه وإمكانياتها ومواردها المتاحة، وأنشطتها الاقتصادية والتي تفرضها سمة الموضع المختار وخصوصيته، إذ أن ذلك يساهم في ازدهار المدن واستدامتها.
كانت المدن الأولى التي أنشأها المسلمون خارج شبه الجزيرة العربية، هي تلك التي بدأت مع حركة الفتوح الإسلامية في الشرق والغرب، وهي المدن التي شهدت أول انطلاق للإسلام خارج مهده في منزل الوحي تقع هذه المدن الآن داخل الإطار العربي من عالم الإسلام، ولما كان المسلمون الأوائل الذين خرجوا من شبه الجزيرة فاتحين للأقطار المجاورة وناشرين للإسلام هم في حقيقة أمرهم من البدو الذين ألفوا حياة البر ولم يألفوا الحياة بجوار الأنهار أو البحار، ولم تكن وسائل انتقالهم في أوقات السلم أو الحرب تتعدى الإبل أو الخيول، فقد حدد ذلك مواقع المدن الأولى التي كان من الوصايا التقليدية في إنشائها، ألا

(1) نوال تركي موسى، بهاء موسى حبيب، العوامل المؤثرة على تخطيط المدينة العربية الإسلامية، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ع 13، 2013، ص 174.

(2) نفسه، ص 174.

يفصل بينها وبين شبه الجزيرة فاصل مائي سواء كان نهرا أو بحرا، وينطبق ذلك بصورة خاصة على كل من البصرة والكوفة (1).

(1) أحمد علي إسماعيل، المرجع السابق، ص 21.

الفصل الثاني:

الأثر الاقتصادي في بناء وتطور البصرة

• تمصير البصرة

1. فضل الموقع على ازدهار اقتصاد المدينة

2. تقدير الشوارع في البصرة

3. التموين الزراعي

4. الأسواق عصب المدينة

5. المياه وآثارها الاقتصادية

• معنى البصرة:

لقد ذكر لفظ البصرة بمدلولات عدة، ومعانٍ مختلفة عند اللغويين العرب.

فعند الجوهري البَصْرَةُ: حجارة رخوة إلى البياض ما هي وبها سميت البصرة، والبصرتان الكوفة والبصرة⁽¹⁾.

وفي المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده المرسي: البَصْرُ والبَصْرُ والبَصْرُ هو الحجر الغليظ، والبَصْرُ والبَصْرَةُ الحجر الأبيض الرَّخْوُ، وقيل هو الكَدَّانُ فإذا جاؤوا بالهاء قالوا بَصْرَةٌ لا غير وجمعها بَصَارٌ⁽²⁾.

وعند ابن قرقول البَصْرَة: الطين العَلِكُ وقيل الأرض الطيبة الحمراء⁽³⁾.

أما الرضي الأسترباذي فذكر لفظ البَصْرُ بكسر الباء من غير تاء بمعنى البَصْرَة، فلما كان قبل العلمية بكسر الباء مع حذف التاء، ومع النسبة بحذف التاء كسرت الباء في النسب وقيل كسر الباء في النسب اتباعاً لكسر الراء، ويجوز بَصْرِي بفتح الباء على القياس⁽⁴⁾.

وفي لسان العرب لابن منظور: البَصْرَةُ والبَصْرَةُ والبَصْرَةُ أرض حجارتها جِصٌّ، قال وبها سميت البَصْرَةُ، و البَصْرَةُ أعم والبَصْرَةُ كأنها صفة⁽⁵⁾.

(1) الجوهري، المصدر السابق، ص97.

(2) ابن سيده المرسي، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هندواوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ-2000 م، ج8، ص317.

(3) ابن قرقول، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، قطر، 1433هـ-2012م، ج1، ص587.

(4) الرضي الأسترباذي، شرح شافية الحاجب، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1395هـ-1975م، ص81، 82.

(5) ابن منظور، المصدر السابق، ج4، ص67.

وفي النسب إلى البصرة بِصْرِيٌّ وَبَصْرِيٌّ الأولى شاذة قال: عذافر: (بَصْرِيَّةٌ تزوجت بَصْرِيًّا... يطعمها المالح والطري⁽¹⁾)، والبصريُّون هم المنسوبون إلى مدينة البصرة ونحاة البصرة⁽²⁾.

وبهذا نجد أن هناك اختلاف واضح في شرح كلمة بصرة، وكانت أغلب معانيها قد اتفقت على اشتقاق الاسم من مميزات الأرض وطبيعتها، إلا أن في مجمل التفاسير اختلاف حول لون تلك الأرض وميزتها.

وبالنظر إلى تعاريف بعض الجغرافيين لمعنى لفظ البصرة، نجد أنها وافقت المدلول اللغوي لها نسبياً.

فيذهب ابن الفقيه إلى أن تسمية البصرة لأن فيها حجارة رخوة، والبصرة الحجارة الرخوة تضرب إلى البياض، فإذا حذفوا الهاء قالوا بِصْرُ بكسر الباء، وقالوا في النسب إلى البصرة بِصْرِيٌّ وَبَصْرِيٌّ⁽³⁾.

وأشار المقدسي إلى أن اشتقاق اسم البصرة من الحجارة كان يثقل بها مراكب اليمن، فتلقى، ثم قيل لا بل حجارة رخوة تضرب إلى البياض⁽⁴⁾.

أما الحموي في معجم البلدان فقال: أن البصرة في كلام العرب الأرض الغليظة، وقال قطرب: البصرة الأرض الغليظة التي فيها حجارة تطلع حوافر الدواب، قال: ويقال الأرض الطيبة الحمراء، وذكر بعض المغاربة: أن البصرة الطين العلك، وقيل البصرة تعريب (بس راه) لأنها كانت ذات طرق كثيرة انشعبت منها إلى أماكن مختلفة⁽⁵⁾.

(1) ابن سيده المرسي، المصدر السابق، ص317.

(2) نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، القاهرة، 1392هـ-1972م، ج1، ص59.

(3) ابن الفقيه، كتاب البلدان، دار صادر، د ط، بيروت، 1302هـ، ص187.

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص118.

(5) ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص430.

وذكر أن المسلمين حين وافوا البصرة للنزول فيها، نظروا إليها من بعيد وأبصروا الحصى عليها فقالوا: «إن هذه أرض بصرة، يعنون حَصْبَةً فسميت بذلك»⁽¹⁾.

ولم تستقر كتب التاريخ كما معاجم اللغويين وغيرهم على معنى موحد أو مدلول جلي لكلمة البصرة، فبعد الرصد اللغوي الذي سبق وأشارنا إليه، وجدنا آراء متعددة حول ذلك المعنى من الناحية التاريخية نذكر من بينها مايلي:

أما الطبري فقال: أن البصرة كانت تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض حُشْن سماها العرب عندما دخلوها بالخرابية⁽²⁾، ويذكر المسعودي⁽³⁾ أنها كانت قبل تمصيرها الأبلّة⁽⁴⁾، وتدعى أرض الهند فيها حجارة بيض موضع الخريبة⁽⁵⁾، وهي بقايا أنقاض (تردم) أو (تردن) الكلدانية كما ذكرت بعض الكتب التاريخية منها واليونانية، وكانت مدينة تردم على عهد الكلدانيين من المدن الزاهرة بمياهها وأشجارها ومبانيها، ثم خربت بمرور الزمن ولم يبقَ منها سوى قصر ومخفر للأعاجم، وهو سبب تسميتها من العرب يوم قدموها الخريبة⁽⁶⁾.

وتسمى البصرة أيضا (المؤتفكة)، فلما أغارت الأعاجم في عهد الملك كورش على العراق لاكتساح الدول الكلدانية 538 ق. م فيه، صارت جميع المدن العراقية بقبضة الفرس سميت المدينة (هاشتا باذ أردشير) أي عمارة أردشير المدهشة، وجابهت الطوارئ بين الفرس

(1) ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص430.

(2) الطبري، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1979م، ج3، ص591.

(3) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1425 هـ، 2005 م، ج2، ص252.

(4) الأبلّة: بضم أولها وثانيها وتشديد اللام وفتحها وقد تعددت الآراء حول تعيين موقعها منها: أن موقع الأبلّة قرب قرية كوت الزين الواقعة على شط العرب جنوب أبو الخصيب وأن نهر الأبلّة هو نهر العشار وأن منطقة العشار الحالية هي مدينة الأبلّة. ينظر: عبد القادر باش أعيان العباسي، البصرة في أدوارها التاريخية، مطبعة دار البصرة، د ط، بغداد، 1381هـ - 1961م، ص8-ص9.

(5) الخريبة تصغير خربة موضع بالبصرة، كانت مدينة للفرس خربت لتواتر الغارات عليها فلما مصرت البصرة ابتتوا على جانبيها فسميت الخريبة لذلك، وتقع دون دجلة، فلما نزل المسلمون البصرة سموها الخريبة— ينظر: صفي الدين عبد المؤمن القطيعي، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ، ج1، ص463.

(6) عبد القادر باش أعيان العباسي، المرجع السابق، ص7.

والرومان وغيرهم، حتى دكّت معالمها، وبقي معظمها خرابا فلقت (المؤتفكة) بعد خرابها، لأنها انقلبت بأهلها في أول الدهر، مما يثبت لنا أنها من المدن الكلدانية والفارسية، ثم آلت إلى الإسلام وتسمى البصرة⁽¹⁾.

وهذا من الآراء التي تدل على أن البصرة بموقعها كانت موجودة قبل الإسلام، وأن العرب المسلمون بنوا على أنقاضها مدينتهم الإسلامية فيما بعد.

وبرغم أن البعض يقول أنها قامت على أنقاض قديمة، وأن آثار هذه المدينة تتمثل في الخريبة التي تمثل جزء من البصرة المعاصرة حاليا، رغم ذلك فمن الأرجح أن البصرة مدينة عربية النشأة إسلامية التخطيط منذ قيامها، فالفرس لم يألفوا المدن على تخوم الصحراء⁽²⁾.

وبذلك فقد سمّت البصرة بألقاب وأسماء متعددة، كما حملت تسميات غريبة وقديمة من قبل المؤرخين والباحثين واللغويين، فقد سميت "الخريبة" وكان مسلحا للأعاجم، وبعد تمصيرها سميت بألقاب كثيرة منها: أم العراق، وخزانة العرب، وعين الدنيا، وذات الوشامين، والبصرة العظمى، والبصرة الزهراء، والبصرة الفيحاء وتسمى البصرة الرعناء⁽³⁾، وقبة العلم وسميت أيضا بصرة نسبة إلى الحجر الأبيض لأن الأرض التي شيدت عليها من الحجر الأبيض، وبصرة تعني الرمال الناعمة التي فيها بياض ولهذا سميت بهذا الاسم⁽⁴⁾.

إن الألقاب التي أطلقت على البصرة دلّت على مدى الحضور والازدهار الذي حظيت به هذه المدينة بعد تمصيرها، كمدينة إسلامية ومكانتها وأهميتها كإحدى مدن العرب المسلمين دينيا واقتصاديا وثقافيا واستراتيجيا، ولا شك أن شهرة المدينة جعلتها تلقب بتلك الألقاب التي إن دلّت على شيء، إنما تدل على أن البصرة بعد اختطاطها وتمصيرها، أصبحت من المدن الهامة في تاريخ التمدن الإسلامي.

(1) عبد القادر باش أعيان، المرجع السابق، ص7.

(2) أحمد علي إسماعيل، المرجع السابق، ص21.

(3) نادية نوري علي، نشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في القرن الأول الهجري، مجلة دراسات البصرة، ع14، 2012م، ص201.

(4) نفسه، ص201.

• تمصير البصرة:

أنشئت البصرة في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه على ساحل نهر دجلة في الطرف الشمالي من الخليج العربي⁽¹⁾، وتعد أول مدينة في العصر الإسلامي أنشأها المسلمون العرب خارج حدود الجزيرة العربية⁽²⁾.

وقد اختلفت بعض المصادر حول تاريخ تأسيس البصرة ونشأتها. فقد ذهب كثير منهم الطبري نقلا عن المدائني إلى أن البصرة قد مصّرت سنة 14 للهجرة الموافق لسنة 635 للميلاد، وأن عمر رضي الله عنه أنفذ عتبة إلى البصرة فنزلها ومصّرها⁽³⁾، على إثر فتح الأبلّة وكان ذلك على طرف البر إلى جانب مسلحة الفرس التي خربت في تلك الأثناء، واتخذ عتبة المكان معسكرا لجيشه لأنه لا يحول الماء بين وبين مكة، إذ كان في موضع على الضفة الغربية للفرات إلى مكة رمال وجبال وسهول لا يفصل بينهما نهر، ثم كتب للخليفة يستأذنه بالبناء فأذن له⁽⁴⁾.

ومن ذلك نلاحظ أن اختيار موقع البصرة لم يكن اعتباطيا وإنما كان مبلغ القصد منه تعمير المكان وضمان استقرار الخلق واستمراريته.

(1) شاكر محمود، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة، الأردن، د ط، عمان، 2003، ج1، ص151.
 (2) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص197.
 (3) المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص252.
 (4) علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، د ط، بغداد، 1346هـ-1927م، ص9، 10.

وفي رواية للمسعودي أن البصرة مصرت في ربيع سنة ستة عشر للهجرة (16هـ)، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد بن أبي وقاص من حرب جلولاء⁽¹⁾ وتكريت⁽²⁾، وجهه إليها سعد بأمر عمر، وذكر المسعودي رواية بناء عتبة للبصرة على طلب من الخليفة اختطها سنة 16هـ⁽³⁾، ويقول ابن الفقيه أن عتبة نزلها سنة 16هـ ومصرها سنة 17هـ⁽⁴⁾.

وذكر اليعقوبي في البلدان وغيره أن عتبة بن غزوان المازني اختط البصرة سنة 17هـ وهو يومئذ عامل عمر بن الخطاب⁽⁵⁾، وقيل بنيت سنة 17هـ وسكنها الناس في عام 18هـ⁽⁶⁾.

ويكاد يجمع المؤرخون أن البصرة مصرت سنة 14هـ-635م، وأن الذي اختطها هو عتبة بن غزوان بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، فكانت أقدم المدن العربية الإسلامية التي شيدت في العراق⁽⁷⁾.

ورغم تضارب الروايات حول إنشاء البصرة وتاريخ تمصيرها الذي تراوح بين سنة 14هـ وسنة 17هـ، فمن الممكن أن يكون الاختلاف بسبب التمصير، وأن تاريخ وصول العرب

(1) معركة جلولاء جزء من الفتح الإسلامي الفارسي وقعت سنة 16هـ-637م، بعد فتح المدائن انتصر فيها المسلمون في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه على الإمبراطور الساسانية وضم إقليم شرق جبال زاغروس إلى الدولة الإسلامية ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1413هـ-1992م، ج7، ص69، 70، 71.

(2) معركة تكريت من الفتوحات المهمة في فتح العراق وفارس انتصر فيها المسلمون وحررت تكريت والموصل 16هـ، كانت قيادتها من طرف ربيعي بن الأفلح أمير حامية الموصل في عهد عمر سنة 16هـ، ينظر: محمود شاكر، المرجع السابق، ص62، 63.

(3) المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص252.

(4) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص188.

(5) اليعقوبي، المصدر السابق، ص17.

(6) المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص252.

(7) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص198.

المسلمين إليها كان سنة 14هـ بينما يكون تاريخ تمصيرها وتوسع العمران خلاف ذلك، وهو ما رجحته المصادر.

ومما هو مؤكد مما سبق بأن مدينة البصرة قد تم إنشاؤها وتخطيطها بالقرن الأول الهجري في عهد خليفة المسلمين الثاني عمر بن الخطاب، وكان تأسيسها من طرف الصحابي والقائد المسلم عتبة بن غزوان⁽¹⁾، كأولى مدن الإسلام خارج شبه جزيرة العرب. وقيل أنّ عتبة مرّ بموضع المرّبد فوجد فيه الكلدان الغليظ (شعبة من الجبل) فقال: هذا هو البصرة أنزلوها بسم الله⁽²⁾، وكانت البداية بضرب الخيام، ولم يكن بناء ثم بنوا بالقصب، فإذا خرجوا للفتح نزعوه وحزموه وصفّوه، حتى يرجعوا ليعيدوا بناءه⁽³⁾، وكانت هذه البداية النواة الأولى لمدينة البصرة⁽⁴⁾.

(1) عتبة بن غزوان: هو أحد السابقين إلى الإسلام والمسلمين الأوائل هاجر إلى الحبشة واشترك بمعركة بدر، قاتل تحت لواء سعد بن أبي وقاص في القادسية وفي المعارك الأخرى حتى تم فتح المدائن، ويعد مؤسس البصرة. ينظر: محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم، ط3، القاهرة، (د.ت)، ص379، 380.

(2) ابن قتيبة، المعارف، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، ط4 القاهرة، (د.ت)، ص563.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، تعليق وتقديم: شوقي أبوخليل، وزارة الثقافة، دط، دمشق، 1997، ص433.

(4) مصطفى عباس الموسوي، المرجع السابق، ص72.

تم تخطيط مدينة البصرة وفقاً لخطة هندسية⁽¹⁾، وبدأت عمارتها بالمسجد⁽²⁾ الجامع⁽³⁾، الذي وضع بالوسط بحيث تتفرع منه الشوارع⁽⁴⁾ وكان قد بني من قصب، وبنيت دار الإمارة دونه في الرحبة وفيها الديوان والسجن وحمّام الأمراء⁽⁵⁾، وكان قد ولي البصرة عتبة ثم المغيرة بن شعبة⁽⁶⁾ بعد وفاة عتبة سنة 14هـ، ثم عزل سنة 16هـ، فلما وليها أبا موسى الأشعري⁽⁷⁾، نزع القصب وبنى المسجد ودار الإمارة باللبن⁽⁸⁾، وكانت دار الإمارة التي أطلق عليها اسم

(1) دانية غانم حسن، الأسس والمعايير لتخطيط وإنشاء مدينة البصرة (14 هـ-635 م)، مجلة كلية المأمون، ع33، 2019، ص118.

(2) يعد مسجد البصرة أول مسجد جامع يقام خارج الجزيرة العربية وكان يشغل مساحة من الأرض مربعة محاطة بسياج من قصب، ويتولى أبي موسى الأشعري هدم المسجد ووسع مساحته وبناه بالطين واللبن وجعل له سقفاً من العصب، وبقي المسجد على حاله طيلة خلافة عثمان وعلي رضوان الله عليهما، وحينما آلت الخلافة إلى الأمويين بعث معاوية زياد بن أبيه واليا على البصرة فهدم المسجد وزاد في مساحته وبناه بالأجر والجص وأقام عليه سقفاً من خشب الساج، وكان للمسجد ثمانية عشر باباً، وتعد منارته أول منارة في الإسلام بنيت سنة 45هـ، ومنبره في مقدمة المسجد واشتمل على بطست المسجد أو المطهرة من بركة مصهجة مطلية بالفار، ولم يزد في المسجد أحد حتى عهد العباسيين حيث اشترى المهدي دوراً مجاورة للمسجد وهدمها وزاده مساحة، ينظر: دانية غانم حسن، مرجع سابق، ص 118.

(3) ابن قتيبة، مصدر سابق، ص563.

(4) علي ظريف الأعظمي، مصدر سابق، ص11.

(5) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص 229.

(6) المغيرة بن شعبة: من كبار الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة شهد بيعة الرضوان، وكان داهية من دهاة ثقيف، أصيبت عينه بالعمى يوم اليرموك، وشهد القادسية وولي لعمر بن الخطاب البصرة وهو أول من وضع ديوان البصرة وولي الكوفة لعمر وقتل عمر وهو عليها ووليها بعد ذلك لمعاوية بن أبي سفيان، فمات بها وهو وال عليها سنة 50هـ وهو ابن سبعين سنة، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت، 1417هـ-1996م، ج3، ص22،23، ابن سعد، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1410هـ-1990م، ج6، ص97، 98.

(7) علي ظريف الأعظمي، مصدر سابق، ص10.

(8) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص229، 230.

الدّهناء أول دار إمارة تؤسس بالعراق وثاني دار إمارة بعد دار الرسول صلى الله عليه وسلم، وخط إلى جانب هذه الدار وحدات إداريه أخرى⁽¹⁾.

ففي سنة 16هـ حدث حريق بالبصرة كان سببا جعل أبو موسى الأشعري يتوجه إلى البناء باللبن بإذن من الخليفة الذي كتب إليه بأن لا يتناولوا في البنين، ولا يزيدن أحدهم على ثلاثة أبيات، فخططوا المناهج والشوارع وجعلوا وسط كل خط رحبة فسيحة لمرابط خيولهم وتلاصقوا بالمنازل⁽²⁾.

وكان التدرج في الشوارع واضحا بين الشارع الأعظم والأزقة والدروب، كمقياس لتحديد الطرقات قد ارتبط بنظام تخطيط المدينة⁽³⁾، وعموما فشكل العمران في بداية نشأة البصرة كان خطيا طوليا بتأثير طبوغرافية الموضع ممثلة في وجود رأس الخليج العربي، وما يقع إلى شماله من مستنقعات تشكل حاجزا جنوبيا للبصرة، أما في شمال البصرة فيوجد هور الحمار، ويقع شرقها شط العرب وبذلك تحدد عمرانها بمحور طولي يمتد من الشمال إلى الجنوب تقريبا، ويقسمها شارع المربد إلى قسمين شمالي وجنوبي، وتنتشر على جانبيه معظم أسواق المدينة⁽⁴⁾ التي تقع في المنتصف بالقرب من المسجد ودار الإمارة لتكون قريبة إلى جميع سكان المدينة في جميع جهاتها، وتكون قريبة من المسجد أيضا⁽⁵⁾، وكثرت الحمامات بالبصرة وكانت لا تبنى إلا بإذن الولاية⁽⁶⁾.

أما المناطق أو الأحياء السكنية فقد خُطت وفق القاعدة الأساسية التي كانت قبلية شخصية في آن واحد، وهي عادة تكون موزعة على شكل محلات سكنية واقعة على شوارع وأزقة ملتوية، إذ أن فكرة التخطيط العربي الإسلامي تقوم على تقسيم المدينة إلى محلات

(1) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص 210.

(2) علي ظريف الأعظمي، مصدر سابق، ص 11.

(3) ميادة عبد الملك محمد صبري، المرجع السابق، ص 9.

(4) أحمد علي إسماعيل، المرجع السابق، ص 22، 23.

(5) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص 210.

(6) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 435.

سكنية تسكنها عشيرة واحدة نتيجة لتأثير النظام الاجتماعي القبلي، حيث كانت النظم السائدة فيها قائمة على أسس قبلية، حيث خطت منازل القبائل التي استقرت في مدينة البصرة، وقسمت إلى خمس أخماس يضم كل خمس عدد من العشائر وزعت على السكان حسب انتماءاتهم القبلية، وهي أصل العالية وتميم وبكر والأزد وعبد القيس، حيث تشكل هذه المحلات منظومات عضوية متكاملة ضمن المدينة الواحدة، وأهم هذه القبائل التي سكنت مدينة البصرة: القساملة والأزد وبنو الخندق وبنو العم وبنو النجار، وبنو الليث وبنو العنبر وبنو الأشعر، وبنو الجوني وغيرهم..⁽¹⁾.

فكان تنظيم البصرة على أساس القبائل التي سكنتها، فكل قبيلة مع عشائرها جهتها الخاصة بها، ولهم رئيس يتولى أمورهم وبذلك فقد أصبحت البصرة مركز تحول للقبائل من الجزيرة العربية بعد استقرار المسلمين الفاتحين فيها، وانضم الأعاجم الفرس الذين دخلوا الإسلام إضافة إلى العبيد والترك والأساورة⁽²⁾ والزط⁽³⁾ ليكونوا ضمن أعداد أهل البصرة فعاش المجتمع البصري متأثراً بالبدو العرب والأقوام الأجنبية الأخرى⁽⁴⁾. فلما أذن عمر بنائها ساق إليها جماعات كبيرة من أشرف العرب من أهل البادية وأسكنهم فيها⁽⁵⁾.

(1) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص212.

(2) الأساورة هم الفرسان المقاتلة الشجعان من الفرس يسمون بالأساورة. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص191.

(3) الزط: أقوام تم سبيهم من قبل الفرس منذ القدم وأصبحوا يعملون في الجيش الفارسي، ينظر: البلاذري، فتوح، ج2، ص460، 461.

(4) عبد الستار نصيف جاسم العامري، قسور فالج الصافي، جهود علماء البصرة والكوفة في مجال العلوم الدينية ودورهم في التواصل الفكري بين المدينتين حتى نهاية العصر الأموي 132هـ، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ع13، 2013، ص606.

(5) علي ظريف الأعظمي، مرجع سابق، ص11.

ونمت الكثافة السكانية في البصرة بسرعة كبيرة من حوالي ألف مقاتل إلى حوالي نصف مليون نسمة أواخر القرن الأول الهجري، وفي العصر العباسي أصبحت بحدود مليون نسمة⁽¹⁾.

والبصرة مدينة مستطيلة تكون مساحتها على أصل الخطة التي اختطت عليها في وقت افتتاحها فرسخين في فرسخ⁽²⁾، فالباطنة منها وهي الجانب الذي يلقى الشمال تسرع على نهريين لها أحدهما نهر يعرف بنهر عمر⁽³⁾، وتم توصيل مياه شط العرب إلى البصرة بحفر القنوات لتصبح بها عدة طرق مائية، وكان من أشهر الأنهار نهر الأبله الذي يصل بين البصرة والأبله، وكانت القصور والبساتين متصلة على جانبي هذا النهر في استقامة كما لو كانت بستانا واحدا⁽⁴⁾.

فمدينة البصرة التي تأسست على يد عتبة تطورت في هيكلها العمراني على يد أبي موسى الأشعري الذي حفر المياه لتزويدها به، ثم جاء عبد الله بن عامر وشجع على العمران ومنح الإقطاعات واتخذ الأسواق، وأصبحت ذات مركز إداري، ثم جاء زياد بن أبيه⁽⁵⁾ وعمل

(1) عبد الحكيم غنطاب الكعبي، التحولات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، مجلة دراسات البصرة، ع17، 2014، ص192.

(2) الفرسخ: م ج فراسخ، وهو وحدة طولية لقياس المسافات ويساوي ثلاثة أميال أو (5544 مترا) أو (12000 خطوة)، ينظر: وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط3، دمشق، 1409هـ-1989م، ج1، ص75، ينظر: الزبيدي، المصدر السابق، ج30، ص436.

(3) اليعقوبي، المصدر السابق، ص159، 160.

(4) ابن حوقل، المصدر السابق، ص212.

(5) زياد بن أبيه (1-53 هـ / 622-673 م): أمير من الدهات والقادة الفاتحين الولاة، اختلفوا في اسم أبيه، فقيل عبيد النقفى وقيل أبو سفيان ولدته أمه سمية جارية الحارث بن كلدة النقفى في الطائف، وتبناه عبيد النقفى (مولى الحارث بن كلدة) وأدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم في عهد أبي بكر وكان كاتباً للمغيرة ثم لأبي موسى أيام إمرته على البصرة، ثم ولاة علي رضي الله عنه إمرة فارس، وتبين لمعاوية أنه أخوه من أبيه (أبي سفيان) فكتب إليه بذلك فقدم عليه، وألحقه بنسبة 44هـ، فكان عضده الأقوى وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي، ينظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م، ج3، ص53.

على إعادة تنظيم المدينة وتحديد تقسيماتها الطبوغرافية والسكنية، وشجع على إنشاء الوحدات المعمارية وبنى مدينة الرزق، وأسس الأسواق⁽¹⁾.

وبعد أن كان موضع البصرة معسكرا للجيش الإسلامي تقيم فيه العرب مع نسائهم، صار ذلك الموضع مدينة كبيرة ذات أسواق واسعة، وبيوت فخمة، وأخذت عمارتها تزداد منذ أيام عمر بن الخطاب⁽²⁾.

وقد غدا موضع البصرة مدينة واضحة المعالم مزدهرة الجوانب نظرا للأثر الاقتصادي ودوره في بنائها وتطورها، والذي سنلمسه من خلال دراستنا لأهم الشروط الاقتصادية التي ميزت مدينة البصرة وساهمت في ارتقائها.

(1) خليف مصطفى غرايبة، المرجع السابق، ص193.

(2) علي ظريف الأعظمي، المرجع السابق، ص10.

1. فضل الموقع على ازدهار اقتصاد المدينة:

تقع البصرة على شط العرب في منطقة تكثر فيها المستنقعات والأهوار، وتحتل موضعا قريبا من النهر، يتأثر بمنسوب السهل الفيضي ولذلك فإنها لا ترتفع عن مستوى سطح البحر إلا بما لا يتجاوز ثلاثة أمتار، وقد بنيت في أول الأمر على شكل معسكر يسهل الاتصال به برياً بشبه الجزيرة العربية بما لا يسمح بوجود حاجز مائي بين جيش المسلمين من ناحية الاتصال البري بقاعدة الإسلام بالمدينة من ناحية أخرى⁽¹⁾.

ولا شك أن المبدأ البيئي أساس اختيار بناء المدن، ويذكرنا باختيار عمر بن الخطاب لموقع مدينة البصرة الذي ارتكز على مبدأ التوازن بين الصحراء والريف، كركن من أركان الاستدامة في بناء المدن، فوجود المرعى كان أساس اختيار موقع البصرة لتحقيق الاستقرار الاقتصادي لسكان المدينة من العرب الذين كانوا يحترفون الرعي، فالواجب هنا هو وجود ما يكفي السكان من النشاط الاقتصادي، الذي يجعلهم يعيشون في استقرار، فالمدينة في الأصل وجدت للحياة⁽²⁾، وبذلك فقد وفر الموقع الجغرافي للبصرة شروط الاستقرار نظراً لأهميته وخصوصيته.

من دون شك أن تاريخ البصرة المدينة العظيمة في العصر الوسيط بدأ مع الإسلام، وتحديدًا مع فتح العراق وهجرة القبائل العربية المقاتلة إلى هذه المنطقة، إلا أن هذا الإقليم كان قد أتيح له منذ القدم ما يتاح لمثله من الأقاليم التي تقع في طريق التجارة البحرية، وتشارك في الأعمال التجارية الواسعة، أن يكون ملتقى الأجناس الكثيرة والعقليات المختلفة، ذلك أن موقعه القريب من الخليج العربي وفيه الأبله، الميناء البحري المشهور آنذاك جعله مهيمنا ليضم عناصر من أصول وقوميات شتى عن طريق الإبحار، والاتجار فضلا عن أهله الأصليين⁽³⁾.

(1) أحمد علي إسماعيل، المرجع السابق، ص22.

(2) خليف مصطفى غرايبة، المرجع السابق، ص192.

(3) عبد الحكيم غنتاب الكعبي، المرجع السابق، ص180.

فتطور البصرة كان أساسه فضل موقعها الهام، ووفرة الخيرات وأهميتها من الجانب التجاري، وإشرافها على الخليج العربي وانفتاحها على الصحراء العربية، حتى أصبحت البضائع القادمة من الهند والصين تمر عن طريقها إلى بلاد فارس، واستغل المسلمون هذا الموقع، وأصبحت أغلب مدن بلاد فارس التي تم تحريرها تابعة إدارياً إلى البصرة⁽¹⁾. ونجد بذلك أن هناك أسساً اقتصادية يتم على أساسها اختيار موضع المدينة حتى يكون لها ذلك مبدأ للاستمرار.

والبصرة مدينة عظيمة عامرة⁽²⁾، تهيأ لهذا المصر موقع فريد، هو ملتقى البحر والسهل الخصيب والصحراء⁽³⁾، فللبصرة موقع بخصائص فريدة واستراتيجية هامة يتصل بالبر والبحر ويشمل الأراضي الخصبة، فكان محور النقاء الطرق الهامة وهو ما أدى إلى أن تكون البصرة مدينة تجارية خاصة.

وقد بنيت البصرة بعد تخطيطها في أرض متصلة بالصحراء⁽⁴⁾. واتصال البصرة بالصحراء جعلها حلقة وصل بين شبه الجزيرة العربية الذي لا يفصل بينهما حاجز وبين باقي مناطق العراق.

وقد جذبت البصرة من الحجاز وشبه الجزيرة ثم من جميع أنحاء العالم الإسلامي الآخذ في الاتساع بفعل الفتوحات عناصر عديدة ومتنوعة ساهمت في توسيع المدينة بصورة هائلة

(1) عبد الستار نصيف جاسم العامري، قسور فالح الصافي، المرجع السابق، ص 606.

(2) البغدادي (فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري)، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة للطباعة والنشر، ط1، لندن 1419هـ - 1998م، ص 158.

(3) ابن حوقل، المصدر السابق، ص 212.

(4) صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، تعريب أطروحة دكتوراه أجيّزت من جامعة أكسفورد، مطبعة المعارف، د ط، بغداد، 1953، ص 28.

وأخذ أهلها يفقدون فضائهم العسكرية بمدينة زاهرة، زاد موقعها الجغرافي في فعاليتها التجارية، ففي القرن الثاني للهجرة وصل تطور البصرة إلى أوجه⁽¹⁾.

وبالتالي فالموقع الذي حظيت به البصرة كان أحد الأسس الاقتصادية ومتطلباتها و التي مكنت البصرة تجارياً، وأصبح ميناء البصرة من أهم موانئ المنطقة.

وفضلاً عن الموقع الجغرافي كعامل مهم في تخطيط المدينة بأن يكون المكان المختار قريباً من الماء والمرعى، ولا يفصله عنه بحر أو نهر كشروط أساسية توفر للإنسان العربي طيب العيش، فإن أهمية موقعها بالنسبة للطرق البرية والبحرية ساعد على تقدم المدينة، وانتشار السكان، وتطور العلاقات الخارجية⁽²⁾.

أما موضع مدينة البصرة فكان على أطراف البادية شرق مدينة الزبير الحالية إلى الجنوب الغربي من مدينة البصرة الحالية على بعد 14 كلم منها، ويبدو أن اختيار موضعها لم يكن عفويًا، وإنما بناءً على أفكار وبحث دقيق للخليفة عمر رضي الله عنه في اختيار المدن والتي أوصى قادته بإتباعها وتنفيذها⁽³⁾.

فموضع البصرة بمميزاته عد من الأسس الهامة لنزول المنطقة، والتي دفعت المسلمين العرب وعلى رأسهم الخليفة عمر رضي الله عنه إلى اختياره كمكان لتمصير وتخطيط المدينة.

ولتوضيح موقع مدينة البصرة يجب أن نحدد جهاتها الأربع، فمن الجهة الشرقية يمتد نهر مقوس يتصل بنهايته نهر ابن عمر من جهة الشمال، وينتهي في مؤخرة كوت نهر الأبله (كوت الزين حالياً)، ومن الجهة الشمالية السور الذي أنشئ حولها، ومن الجهة الجنوبية اعتباراً من المسجد الجامع إلى مسافة فرسخ واحد عند موقع سورها الجنوبي، وفي

(1) شارل بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، تر: إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية، د ط، دمشق، 1961، ص 26، 27.

(2) دانية غانم حسن، المرجع السابق، ص 114، 115.

(3) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص 201-202.

داخله تقع الخريبة، ومن الجهة الغربية اعتبارا من قبلة المسجد الجامع إلى فرسخ واحد نحو المربد في بريتها عند ملتقى السور الغربي، ومن الجهة الشرقية اعتبارا من المسجد الجامع نحو الشرق بأقل من فرسخ يمر نهر مقوس الأنف الذكر على هذه الجهة طولا، وهو منحدر الأبلّة(1).

أصبحت البصرة من الأمصار الإسلامية المعروفة بحلول القرن الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي، ومركزا إداريا لجنوب العراق ومناطق الخليج العربي، ومركزا تجاريا عالميا تنتهي إليها طرق التجارة البرية والبحرية ومنفذ العراق على تجارات الشرق من إيران حتى حدود الصين(2).

ويؤكد ابن الفقيه على أهمية موضع البصرة، وسهولة اتصالها بالعالم الخارجي بقوله: فهي واسط الأرض، وغورة البحر، ومغيض الأقطار، وقلب الدنيا(3).

ويوضح المقدسي أهمية موضع البصرة بقوله: «مدينة بين فارس وديار العرب»، فقد كان موضع البصرة قد أعطى المدينة أهمية اقتصادية كبيرة بسيطرته على مدخل العراق من جهة الجنوب من الناحية التجارية(4).

وقد أدرك العرب المسلمون أهمية الطرق بالنسبة للمدينة لذلك أنشأوا مدنهم بمواقع تتميز بطرقها البرية والنهرية، فالطرق هي الشرايين المغذية للمدن حيث تتمكن بواسطتها أن تتوسع في علاقاتها الخارجية، وهذا ما أدركه العرب حين أنشأوا مدنهم في مواقع ترتبط بالطرق البرية والمائية كما هو الحال في مدينة البصرة، حيث تلتقي عبرها طرق البحر والنهر والبر مما يجعلها نقطة حركة(5).

(1) علي مفتاح عبد السلام الحولي، تخطيط المدن العربية الإسلامية الجديدة في العصر الراشدي 13-40هـ/ 634-

661م، دار زهران، ط1 عمان، 2011، ص141، 142.

(2) عبد الحكيم غنّاب الكعبي، المرجع السابق، ص192.

(3) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص119.

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص117.

(5) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص205-206

والملاحظ أن موقع البصرة الجغرافي شغل أهمية كبيرة لمدى تأثيره البالغ على فاعلية المدينة وتطورها الاقتصادي خاصة، وأن التحكم في الطرق التجارية الهامة برية وبحرية من ذلك، قد أبرز مكانة البصرة كمدينة إسلامية تطورت وازدهرت نتيجة خصوصية موقعها، كأساس اقتصادي، وعامل مهم شجع على زيادة الاستقرار وتوسع المدينة وحيويتها.

2-تقدير الشوارع بالبصرة:

بمقياس العصر الذي بنيت فيه البصرة، فقد كانت شوارعها حتى الفرعية منها واسعة بهدف تسهيل الحركة فيها دخولا أو خروجا، و لم تكن البصرة محاطة بأسوار أو خنادق⁽¹⁾ فلم يكن لها سورا حتى العصر العباسي عندما اتسعت، وأصبحت مركزا تجاريا فأمر الخليفة المنصور بتحسينها بسور وخندق ونظرا لضعف السور مع الزمن جدد بناؤه سنة 286هـ⁽²⁾. وظهر تخطيط عمر رضي الله عنه المحكم عند بناء البصرة، عندما كانت أوامره بأن يكون عرض شارعها الكبير ستين ذراعا وعرض المتوسط منها عشرين ذراعا، وعرض الأزقة سبعة أذرع ووسط كل محلة رحبة⁽³⁾ (ساحة) تكون مربطا للخيل مربعا ستون ذراعا⁽⁴⁾، بحيث تتفرع الشوارع من المسجد⁽⁵⁾.

وبذلك يتضح أن الخليفة عمر أخذ بعين الاعتبار في تقدير شوارع البصرة اتساعها وتنظيمها، خاصة وأن الدروب والشوارع تسمح بتسهيل حركة القوافل التجارية، وتساهم في عملية تبادل السلع، وتسهل الاتصال بالأسواق وتفعيل نشاطها، وبالتالي تعد من الأسس الاقتصادية ومتطلباتها الهامة في تخطيط المدن الإسلامية.

(1) أحمد علي إسماعيل، المرجع السابق، ص23.

(2) دانية غانم حسن، المرجع السابق، ص119.

(3) الرحبة: باحة الدار أو ساحتها أو فجوة بين البيوت يجمع فيها الناس للبيع والشراء أو اللهو. ينظر: غالب عبد الرحيم، مرجع سابق، ص192.

(4) جورجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مطبعة الهلال، ط4، دم، 1935م، ص171.

(5) علي ظريف الأعظمي، المرجع السابق، ص11.

ولا شك أن اتصال الطرق بالمسجد الجامع، وتفرعها منه يزيد من حيوية المدينة خاصة وأن المسجد الجامع الذي تموضع بالوسط يجاور الأسواق، ويمثل مركز استقطاب للسكان والتجارة فبتقدير الطرق المحكم تزدهر المدينة، ويزيد من فعاليتها التجارية خاصة وأنها الشريان المغذي لاقتصاد ساكنيها، ومن الأسس الاقتصادية التي كان لها الأثر البالغ في تحول البصرة من مجرد معسكر إلى مدينة مزدهرة تجارياً.

ويمتد شارع المربد من الشرق إلى الغرب، ويقسم عمران البصرة إلى قسم شمالي وقسم جنوبي، باتساع يصل إلى 30 متراً تقريباً، وتنتشر على جانبيه معظم أسواق المدينة، أما الشوارع الثانوية فتتفرع من شارع المربد، ويصل اتساع الواحدة منها عشرة أمتار⁽¹⁾ وربما يعكس معنى التسمية الطابع التجاري للمربد، حيث يعني في اللغة المكان الذي يجفف فيه التمر أو المكان الذي تقف فيه الإبل وتعرض للبيع⁽²⁾.

وعلى غرار شارع المربد الذي تميز بصبغته التجارية، كانت الشوارع متصلة بأسواق المدينة بداية من شوارعها الفرعية إلى شارعها الرئيسي، ما يجعل الأحياء السكنية مفتحة على أسواقها الداخلية الممول لقاطنيها ما شجع على الاستقرار والاستمرار من ذلك. وإضافة إلى أن الشوارع من الأسس الهامة التي تساعد على حركة السكان، والانفتاح داخل العمران فتقدير الشوارع من المتطلبات الضرورية من الناحية الاقتصادية لتسهيل تنقل البضائع، والقوافل التجارية وعنصر ربط بين سوق المدينة وأحيائها العمرانية.

3- التموين الزراعي:

اهتم العرب المسلمون بعد فتوحاتهم للعراق بالزراعة وإصلاح الأرض وإحيائها، فنشأت حركة زراعية في عهد الراشدين والأمويين واسعة النطاق، فشقت لها الأنهار بالقرب من الكوفة والبصرة والموصل وواسط، وغرست النخيل وأشجار الفاكهة حولهم وانكب الناس على

(1) أحمد علي إسماعيل، مرجع سابق، ص 22، 23.

(2) محمد سعد إسماعيل، مربد البصرة النشأة والتطور التاريخي مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، الإسكندرية، ص 2.

زراعة الأرض، فانتشرت زراعة الفواكه في معظم مدن العراق وكانت الكروم أشهرها، وكثرت أصنافها وتعددت أنواعها في البصرة كما انتشرت زراعة القطن وقصب السكر⁽¹⁾.

ولا شك أن الاهتمام بعملية الري وتنظيمها وفق الحاجة بحفر الأنهار وشق القنوات منذ وقت مبكر، سهل على الفلاحين عملية الزراعة فزادت صادرات المدينة من المنتجات الزراعية مثل: التمور وغيرها من المنتجات الزراعية، ونتيجة لزيادة النشاط التجاري والزراعي وأدى ذلك إلى جذب أعداد كبيرة من الأيدي العاملة إلى البصرة، وزيادة عدد السكان⁽²⁾.

ويعد ما سبق ذكره أكبر دليل على أن اختيار المدينة كان بناء على الأرض الصالحة للزراعة، والتي أمكنها تموين المدينة وكفايتها من الغذاء، فقد كانت أراضي البصرة غنية وخصبة التربة، ودليل ذلك اختيار موضع البصرة لنجاعة الزراعة فيه، ووفرة التموين الزراعي كشرط اقتصادي من ذلك.

ومما لا شك فيه أن انخفاض الأرض في البصرة، واستوائها أدى إلى كثرة السباح، والواقع أن السباح ظلت واضحة الأثر حتى بعد الإحياء الواسع للأراضي الذي حدث بعد الفتح الإسلامي، واستخدم العبيد في كسح السباح الذين كانوا في أواسط القرن الثالث الهجري يعملون بأعداد كبيرة، ويلاحظ أنه لم يذكر في تاريخ الازدهار الإسلامي استخدام العبيد في الزراعة بمقياس واسع إلا في منطقة البصرة، فلما وليها المسلمون حدثت حركة واسعة لإستصلاح الأراضي منذ العهد الراشدي حتى عهد الرشيد، وظلت البصرة مشهورة بكثرة أنهارها والأراضي المستصلحة⁽³⁾.

(1) أميمة أحمد السيد، الإمارة على بلدان العراق في العصر الأموي (41-123هـ)، المجلة العلمية لكلية الآداب بسوهاج، قسم التاريخ، جامعة سوهاج، ع30، 2009، ص372.

(2) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص208.

(3) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص32.

وكان المنتج الرئيسي في البصرة النخل، ويذكر الجاحظ أن النخلة تبقى عشرين ومائة سنة كأنها قدح⁽¹⁾، وقيل أن لأهل البصرة الرطب الذي ليس في الدنيا أكثر، وألذ منه⁽²⁾، وهكذا فقد اهتم المسلمون العرب باستصلاح الأراضي والعناية بزراعتها، فتوسعت بذلك الزراعة ومن بينها بساتين النخيل.

وأشهر أنواع التمور في البصرة "البرني والقريتا"، واشتهرت البصرة أيضا بالنارنج الذي ميز ما يزرع فيها على البلاد الأخرى، كما اشتهرت بزراعة السمسم والقطن وكانت تصدر إلى المدينة السكر⁽³⁾، وتصدير المنتج الزراعي للمدن المجاورة أكبر دليل على الاكتفاء المحلي من ذلك المنتج.

وقيل أن طعام أهل البصرة أجود الطعام، وسعرهم أرخص الأسعار، وتمرهم أكثر التمور وريع دبسهم أكثر، وعلى طول الزمان أصبر، ببقاء تمرهم الشهرين عشرين سنة، ثم بعد ذلك يخلط بغيره فيجيء له الدبس الكثير والعذب الحلو والخاثر القوي، ومن يطعم من جميع أهل النخل أن يبيع فسيلة بسبعين دينارا أو بحونة (جلة) بمائة دينار أو جريبا بألف دينار غير أهل البصرة⁽⁴⁾.

وقيل أن فتى من أهل المدينة دخل البصرة فلما انصرف قالوا كيف رأيت البصرة قال خير بلاد الله للجائع والغريب والمفلس⁽⁵⁾، وقيل أن أهل البصرة أطيب ثمارا وأكثر أشجارا وأكرم أنهارا⁽⁶⁾.

(1) عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البلدان، تع: أحمد صالح العلي، مطبعة الحكومة، د ط، بغداد، 1970، ص 501.

(2) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص 254.

(3) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 33، 32.

(4) الجاحظ، المصدر السابق، ص 504.

(5) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص 190.

(6) نفسه، ص 236.

وقيل أن أول من غرس النخلة بالبصرة قال: هذه أرض نخل ثم غرس الناس بعده⁽¹⁾، وغرس النخل لأول مرة بالبصرة على عهد عمر، وفتحت الأراضي التي ليست من أرض الخراج للأفراد يزرعونها بموافقة الخليفة، ويبدو أن الرغبة في زراعة الأرض وحيازتها كانت من القوة، حيث كتب عمر إلى أهل البصرة عندما بلغه أنهم اتخذوا الضياع وعمروا الأرض بأن لا ينهكوا وجه الأرض فإن شحمتها فيه⁽²⁾، فقد شجع الخليفة على الزراعة مقابل الحفاظ على خصوبة أراضي البصرة.

ودل ذلك على أن مدينة البصرة عرفت بخصوبة أراضيها وأهميتها الزراعية، فبتوسع استخدام الأرض نظرا لقوة مردودها الزراعي، نبّه الخليفة إلى عدم إنهاكها، كما دل على اكتشاف العرب المسلمين لأهمية البصرة كأرض خصبة صالحة لزراعة متنوعة لأطيب الثمار ومختلف المنتجات الزراعية، فكان ذلك من المتطلبات الضرورية للسكان فيها بزيادة، وتوفير التموين الغذائي الزراعي كأحد الشروط الأساسية والآثار الاقتصادية التي اتسمت بها مدينة البصرة.

واشتهرت مدينة البصرة بإنتاج التمور وبأنواع عديدة وبوفرة حيث يُحمّل منها إلى الأطراف⁽³⁾، ومن عجائبها أنك لو التمتت ذبابة واحدة على رطبها في البساتين أو على معاصرها ما وجدتتها، وكذلك الغربان لا توجد فيها فلا تجد غرابا ساقطا على نخلة من نخيلها في جميع الدهر، فتمر البصرة مع كثرته التي لا تحصى سريع السقوط⁽⁴⁾.

(1) ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج 1، ص 432.

(2) أميمة أحمد السيد، مرجع سابق، ص 347.

(3) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 136.

(4) البغدادي، المصدر السابق، ص 158.

وللحشوش بالبصرة أثمان وافرة، وبها فيما زعموا تجارا يجمعونها فإذا كثرت جمع عليها أصحاب البساتين، فإنه كلما كانت أنتن كان ثمنها أكثر ثم ينادي عليها فيتزايد الناس فيها⁽¹⁾.

فقد تعدد الإنتاج الزراعي للبصرة، وتوسعت الزراعات واستخداماتها، والتي ساهمت في توفير سلع التبادل التجاري حسب متطلبات السكان، والبصرة ذات خضر وأقطان وألبان ولحم وأسماك كثيرة وتجارات⁽²⁾.

وكان القصب النبات الذي يكثر في المستنقعات شمالي البصرة، وكان المحل الذي اختير لبنائها قد أقيم عليه بادئ الأمر الخيام، ثم استعوض عنها بمجموعة من أكواخ القصب⁽³⁾، وقد كتب عتبه بن غزوان إلى الخليفة عمر بن الخطاب عندما نزل موضع البصرة، بأنه وجد أرضا كثيرة القصب في طرف البر إلى الريف ودونها منافع ماء فيها قصباء، فكتب إليه هذه أرض نظرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب، فأنزل الناس إليها، فبنوا مساكن القصب⁽⁴⁾.

والقصب من الموارد الطبيعية المتاحة أيضا بالبصرة، حيث نجد أن ذلك المورد كنبات لعب دورا هاما وبارزا في عملية البناء في بداية تعمير البصرة، لتوفر المنطقة على القصب، وانتشاره بشكل كبير وسهولة استخدامه.

وإذا بنى البصري دارا بالبصرة لم ينفق خمسين ألفا، لأن الدار إنما يتم بناؤها بالقصب والطين واللبن والأجر والجص والأجذاع والساج، والخشب والحديد والصناع وكل هذا يمكن بالبصرة، ولم يرَ بلدة قط تكون أسعارها ممكنة⁽⁵⁾.

(1) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 437.

(2) المقدسي، المصدر السابق، ص 118.

(3) شارل بلات، المرجع السابق، ص 30.

(4) البلاذري، المصدر السابق، ص 432، 433.

(5) عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البلدان، المصدر السابق، ص 503، 504.

وقال الجاحظ في كتابه البلدان : «ومن العجب لقوم يعيبون البصرة لقربها من البحر والبطيحة ولا شك أن منافع هذه البطيحة كثيرة، قال زياد: قصبة خير من نخلة لمنافعها»⁽¹⁾، وهذا يدل على مدى انتفاع الناس من مادة القصب.

والراجح أن المساكن والأبنية بالبصرة كانت رخيصة بسيطة التكلفة، لأن الدولة كانت توزع الأراضي بالمجان، كما أن البلاد ذات مناخ دافئ، وأمطار قليلة لا تستلزم أبنية محكمة قوية، بل يكفي أن تشيد من القصب والطين واللبن⁽²⁾.

وبذلك كانت البصرة تزخر بتربتها المتنوعة والخصبة، والتي ساعدت على وفرة الإنتاج الزراعي كما أن عملية الاستصلاح المبكر للأراضي، وتوسيع عملية الري وشق القنوات ساعدت على ازدهار البصرة زراعياً، وتوفير احتياجات سكانها وتموينهم غذائياً وتنشيط حركة التبادل التجاري نظراً لتحقيق فائض بالإنتاج الزراعي، كتصدير مادة السكر إلى خارج المدينة والتمر وغيرها.

4- الأسواق عصب المدينة:

إن الأسواق من أهم العناصر التخطيطية التي ارتبطت بالمكان والإنسان في المدينة الإسلامية التقليدية، وتركزت في المنطقة المحيطة للمسجد الجامع، وتمتد باتجاه محاور الحركة الرئيسية المتجهة نحو بوابات المدينة، وبنمو وتطور المدينة استدعت الضرورة وجود أنماط ثانوية من التراكم التجاري لتقدم أفضل الخدمات للسكان وببسر وفق نظام متسلسل متدرج⁽³⁾.

(1) عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب البلدان، المصدر السابق، ص 504.

(2) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص 161.

(3) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص 211.

واقترنت أسواق البصرة في البداية على سوق المرید⁽¹⁾، الذي يعد نقطة التقاء بين البادية والحاضرة وكانت تتم فيه عمليات التبادل البضائعي، وبتوسع المدينة تطلبت الحاجة إنشاء عدد من الأسواق، فبعد مرور مدة من الزمن تعددت الأسواق بالمدينة، وأصبحت هناك أسواقاً فرعية وأسواقاً متخصصة وأسواقاً رئيسية⁽²⁾، فعند مجيء عبد الله بن عامر شجع على اتخاذ الأسواق ثم جاء زياد بن أبيه واليا على البصرة وبنى دار الرزق⁽³⁾ وهي مجموعة من الأسواق تضمها دار واسعة تحتوي على أربعة أبواب وكانت هذه الدار تقوم بوظيفة المخزن الكبير للطعام والمؤن⁽⁴⁾.

وكان أصحاب كل سلعة يتجمعون في محل واحد مكونين سوقاً فرعية داخل السوق الكبيرة، وتختلف أهمية الأسواق الفرعية باختلاف عدد من يعمل فيها، أو المهنة التي يمتنونها إلا أنه لا يمكن تحديد عددها بالضبط، أو تقدير أهمية كل منها، وأهمها سوق الإبل، والدباغة، وسوق الطحانيين، وسوق السقاطين (بائع البقول والفواكه المجففة)، وسوق العلافين، والقصباء، وسوق الشعارين... وغيرها، وكان للسوق والي دوره النظر في الخلافات والمشاكل التي قد تنجم في البيع، بما في ذلك اختلاف المكايل والمقاييس والاختلافات التي تظهر في البيوع والإيجارات وأعمال السوق⁽⁵⁾.

(1) المرید: قيل هو مريط الإبل ومحبس الغنم مكان جمعها للبيع، مكان تجفيف التمور والتين والعنب، فضاء بيع البيوت تلقى فيه الكناسة (شبيهة بصخرة في الدار)، والمرید من أشهر المحال بالبصرة، كان سوقاً للإبل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس، وبه كانت مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء. ينظر غالب عبد الرحيم، المرجع السابق، ص369، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص98.

(2) دانية غانم، المرجع السابق، ص120.

(3) خليف مصطفى غرابية، المرجع السابق، ص193،

(4) عادل ظريف الأعظمي، مرجع سابق، ص10.

(5) علي مفتاح عبد السلام الحولي، المرجع السابق، ص201.

وبعد أن كان موضع البصرة معسكرا للجيش الإسلامي، تقيم فيه العرب صار ذلك الموضع مدينة كبيرة ذات أسواق واسعة⁽¹⁾.

واستقطبت البصرة وجذبت الناس للاستقرار فيها لأهميتها من الجانب التجاري، ولموقعها المتميز على الخليج العربي وانفتاحها على الصحراء العربية حتى أصبحت البضائع القادمة من الهند والصين تمر عن طريقها إلى بلاد فارس⁽²⁾.

والمؤكد أن السوق محور نشاط السكان نظرا لفاعليته الاقتصادية، ومحط القوافل التجارية حيث يبنى اقتصاد المدينة على أساس أسواقها التي توفر حاجة السكان من جهة، وتكون مركزا لعرض منتجاتهم من جهة أخرى، فالسوق من الشروط الاقتصادية والتي لعبت دورا هاما، وأساسيا في بناء البصرة وتطورها، وكانت عامل جذب لاستقطاب الأفراد من مختلف النواحي .

5-المياه وأثرها الاقتصادي:

عندما نزل عتبة ابن غزوان الخريبة كتب إلى عمر بن الخطاب يعلمه بذلك وأخبره بأن المسلمين بحاجة إلى الاستقرار، ومكان يحميهم ويأويهم إذا انصرفوا من غزوهم، فكتب إليه عمر رضي الله عنه بأن يجمع أصحابه في مكان واحد على أن يكون قريبا من الماء والمرعى، وكان ذلك الموضع يتوافق مع شروط الاستقرار إذ كانت أرضا قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب ونظرا لذلك أذن الخليفة لعتبة بتمصير المكان⁽³⁾.

إن عتبة أبرز في جوابه للخليفة قرب البصرة من منافع الماء⁽⁴⁾، فلم يكن موقعها بعيدا عن المياه⁽⁵⁾، وهو ما جعل الخليفة يأذن باتخاذ المكان مصرا، وقد أمر الخليفة عمر رضي

(1) علي ظريف الأعظمي، مرجع سابق، ص10.

(2) عبد الستار نصيف جاسم العامري، قسور فالح الصافي، المرجع السابق، ص606.

(3) البلاذري، المصدر السابق، ص 433.

(4) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص169.

(5) نادية نوري علي، المرجع السابق، ص205.

الله عنه بإيصال نهر الأبلّة إلى الرقعة التي بنيت عليها البصرة، والتي كانت تبعد أربع فراسخ أي أكثر من عشرين كيلومتر عن دجلة البصرة، ووفر مدّ هذا النهر توفير الماء لمدينة البصرة⁽¹⁾.

والماء شرط اقتصادي يتوافق مع عوامل الاستقرار، وقد كان أحد المتطلبات المتاحة في البصرة وكان سبب اختيار موضعها.

وبتوصيل مياه شط العرب إلى البصرة حفرت القنوات لتصبح بها عدة طرق مائية على شكل قنوات وترع، وكانت تنسب إلى أصحابها الذين احتقروها، وكانت تجري فيها الزوارق، وأطلق عليها اسم الأنهار، وعدد البعض هذه الأنهار الصغيرة بمائة وعشرين ألف نهر صغير، والتي من أشهرها نهر الأبلّة الذي سبق ذكره⁽²⁾، والذي لم يكن كافياً بعد تزايد السكان وتوسع المدينة خاصة، وأن أحوال مدخله جعلته غير صالح لملاحة السفن الكبيرة، ثم شق نهر معقل⁽³⁾ على فرسخ شمالي نهر الأبلّة، فكان هذا النهر مسلك السفن إلى البصرة، ثم وصل النهرين بنهر ثالث، فتوفرت المياه إلى أغراض الشرب⁽⁴⁾، فكان هذا النهر أساس الاستسقاء لعذوبة مياهه وعدم تأثره بالملوحة لاسيما في حده الأخير⁽⁵⁾. وكان أبا موسى الأشعري قد احتقر نهر الأجانة حتى بلغ به البصرة لإمداد أهلها بالماء، وقد كتب الخليفة عمر إليه بحفر النهر لأهل البصرة⁽⁶⁾.

(1) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص31،30.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، ص212.

(3) نهر معقل ينسب إلى معقل بن يسار المزني حيث يذكر تاريخياً أن عمر رضي الله عنه أمر أبا موسى بحفر نهر آخر إضافة إلى نهر الأبلّة وأن يجريه على يد معقل بن يسار فنسب إليه، وهناك رواية: أنه من الأنهار الكبيرة المتشعبة من شط العرب فهو يقع في الجهة الغربية منه وهو المسلك الرئيسي لتجارة البصرة مع بقية مناطق العراق والأهواز، ينظر: علي مفتاح عبد السلام حولي، المرجع السابق، ص207.

(4) صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص31،30.

(5) بلقيس عيدان لويس، الري والإصلاح الزراعي في العراق (1- 132هـ / 622 750م)، مجلة التراث العلمي، كلية التربية، جامعة بغداد مج19، ع1، 2022، ص28.

(6) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص189.

وكان طول نهر الأجانة ثلاثة فراسخ، كما احتقر ما عرف بـ (حفر أبي موسى) وهي مجموعة آبار تم احتقارها على الطريق بين البصرة ومكة واتصفت مياهها بالعدوثة⁽¹⁾. وكان على جانبي النهر القصور والبساتين متصلة⁽²⁾، وعامة أنهار البصرة مخترقة بعضها إلى بعض، فإذا جاء مد البحر تراجع الماء في كل نهر حتى يدخل نخيلها وجميع أنهارها من غير تكلف، فإذا جزر الماء انحط حتى تخلو منه البساتين والنخيل ويبقى في الأنهار⁽³⁾، ونهري دجلة والفرات يختلطان قرب البصرة ويصيران نهرا عظيما يجري من ناحية الشمال إلى ناحية الجنوب وهي ظاهرة الجزر، ثم يرجع من الجنوب إلى الشمال ويسمونه مدا يفعل ذلك كل يوم وليلة مرتين⁽⁴⁾، وكانت الأنهار الآخذة منها دجلة تتأثر فيها فترتفع وتنخفض تبعا للمد والجزر⁽⁵⁾.

ووفرة مياه الأنهار سمة أساسية في مدينة البصرة والحصول على الماء كان سهلا يسيرا على سكانها.

وقد أشار ابن حوقل إلى أن البصرة أحيط بغربيتها البادية مقوسة، وبشرقيتها مياه الأنهار مفترشة وهي موصوفة بالبرك الفسيحة⁽⁶⁾، فقد اشتهرت البصرة بأنهارها وما أثر على اتجاه توسعها العمراني تقادى أراضي البطائح في الأجزاء الشمالية والغربية، وأراضي الفيضان شرقي المدينة، مما يفسر توجه نموها نحو الصحراء⁽⁷⁾.

(1) بلقيس عيدان لويس، المرجع السابق، ص28.

(2) ابن حوقل، المصدر السابق، 212.

(3) الإصطخري، المصدر السابق، ص81.

(4) ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص439.

(5) صالح أحمد العلي، خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1406هـ-1986م، ص30.

(6) ابن حوقل، المصدر السابق، ص159.

(7) نادية نوري على، المرجع السابق، ص250.

ودل ذلك على أن الماء متاح بالبصرة لانتشار الأنهار ووفرة البرك واتساعها، والتي زادت من أهميتها الاقتصادية خاصة، وأن ذلك كان له التأثير الجلي على توسع الأراضي الزراعية، ورغم اتصال البصرة بالصحراء إلا أن مورد الماء كان قريبا وبوفرة ملحوظة، خاصة وأن البصرة معروفة بأنهارها وتوسع العمران نحو الصحراء تقاديا لفيضان المياه خير دليل على الاكتفاء منه دون مشقة ولا جهد في ذلك.

وقد سار الخلفاء الراشدين من بعد الخليفة عمر رضي الله عنه على نفس المسار، حيث أكمل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23-35هـ / 643-656 م) حفر نهر الأبله، وفي سنة 31 هـ - 651 م احتقر زياد بن أبي سفيان فيض البصرة، كما حفر فيها عبد الله بن عامر العديد من الأنهار الصغار على دجلة، والتي لا يعرف عن معظمها غير الاسم منها: نهر الأساورة، نهر نافذ الذي ينسب حفره إلى مولاه نافذ، ونهر مرة الذي تولى حفره مرة مؤلى أبي بكر الصديق، ونهر حميدة نسبة إلى زوجة أخيه عبد الله بن عامر، ونهر ابن عمير الذي ينسب إلى عبد الله بن عمير بن عمرو بن مالك الليثي، وكان عبد الله بن عامر قد أقطعه أرضا فحفر عليها هذا النهر، وتمكن أهل البصرة بواسطة هذا النهر من إصلاح مساحات شاسعة من الأراضي، كما حفر نهر أم عبد الله، و لابن عامر أيضا حفر الآبار والعيون في موضع عرف لدى المؤرخين بموضع نجاج بني عامر ساعدت مياهها على استصلاح الأرض للزراعة حولها⁽¹⁾.

وكانت البصرة من أعظم بلاد الإسلام، بل ليس كمثلها بلد وسكانها لا يحتاجون إلى ركوب الخيل، إذا ساروا إلى الجنوب، وما حذاه من النواحي لأنهم يركبون الزورق ويسيروا في الأنهار ومن فوقهم الأشجار مظلة، وهو من عجائب الدنيا فلم ير مثل البصرة من عجائب ما فيها من البساتين والأنهار⁽²⁾.

(1) بلقيس عيدان لويس، المرجع السابق، ص28، 29.

(2) البغدادي، المصدر السابق، ص158.

ووفرة مياه في مدينة البصرة كان من الضروريات التي خففت عناء الحصول عليه، خاصة بعد الإجراءات التي اتخذها ولاة البصرة منذ عهد أبي موسى الأشعري الذي مد المدينة بالقنوات نظرا لتوسع المدينة، وزيادة الحاجة للماء، فتوفّر من الخدمات الأساسية والموارد الضرورية ومن شروط تعمير مدينة البصرة، وازدهار زراعتها فقط نظمت الموارد المائية ووسعت عملية الري بتوسع قنوات الأنهار وشقها، وبذلك فالماء شرط اقتصادي أساسي لا غنى عنه، وأهميته بالغة للشرب والري والزراعة، وتخفيف عناء الحصول عليه ضمان لاستدامة المدن وعدم ترحال قاطنيها، وبالتالي يكون من العوامل المساعدة على الاستقرار في مدينة البصرة ونموها، وحركة ملاحظتها النهرية خاصة.

الفصل الثالث:

الأثر الاقتصادي في بناء وتطور الكوفة

-تمصير الكوفة

1. فضل الموقع على اقتصاد المدينة

2. تقدير الشوارع

3. التموين الزراعي

4. الأسواق عصب المدينة

5. المياه وأثرها الاقتصادي

تسمية الكوفة: الكوفة بضم الكاف وسكون الواو واقعة⁽¹⁾، ضمن الإقليم الرابع⁽²⁾، من الأقاليم السبعة⁽³⁾، ولو بحثنا عن معنى كلمة الكوفة لوجدنا أن المعاجم اللغوية والمصادر التاريخية وكتب البلدان أوردت لها معانٍ متنوعة.

ففي اللغة جاءت الكوفة من كَوَّفَ الأديم (قطعة)، وكَوَّفَ الشيءَ اتَّجاهه وكَوَّفَ جمعه والتكْوُفُ (التجمُّع)⁽⁴⁾، وقيل أيضا أن الكوفة من تكَوَّفَ القوم تكوُّفاً وكوفاً على غير القياس تجمَّعوا واستداروا، والكوفان من الدُّغْلِ من الخشب والقصب⁽⁵⁾، والكوفة الرَّملة الحمراء وبها سميت الكوفة كوفة وكوفان أيضا اسم الكوفة⁽⁶⁾، ويقال أن: "أن فلاناً من بني فلان لفي كوفان، وكوفان أي في أمر شديد"، ويقال في عناء ومشقة ودوران⁽⁷⁾، وكَوَّفَ القَوْمُ: أتوا الكوفة، وكَوَّفَتْ تكويفا أي صرت إلى الكوفة، وتكوَّفَ الرجل أي تشبَّه بأهل الكوفة⁽⁸⁾.

وقال الزبيدي في تاج العروس الكوفة: مدينة العراق الكبرى وهي قبة الإسلام ودار هجرة المسلمين قيل مصرها سعد بن أبي وقاص، وكان قبل ذلك منزل نوح عليه السلام وبني مسجدها الأعظم واختلف في سبب تسميتها فقليل: سمي هذا في النسخ وصوابه سميت

(1) ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 45.

(2) الإقليم الرابع إقليم بابل (العراق) أوسط الأقاليم وأعرها، وحدَّ هذا الإقليم مما يلي أرض الحجاز وأرض نجد الثعلبية ومما يلي الشام وحده مما يلي أرض خراسان وراء نهر بلخ مما يلي الهند وبغداد ووسط هذا الإقليم. انظر: سهراب، عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تص: هانس فون مزيك، مطبعة أدولف هرلزهنز، د ط، مدينة فينة، 1347هـ - 1929م، ص 23، 24، 25، 26، 27، 28.

(3) الأقاليم السبعة: شمل الإقليم الأول: إقليم بلاد الهند، الإقليم الثاني إقليم الحجاز، الإقليم الثالث: إقليم مصر، والإقليم الرابع: إقليم بابل، والإقليم الخامس: بلاد الروم والشام، الإقليم السادس: بلاد الترك، والإقليم السابع: بلاد الصين. انظر: نفسه، ص 12، 16، 20، 23، 31، 37، 41.

(4) ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص 311.

(5) لويس معلوف، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، دط، بيروت، د ت، ص 703.

(6) الجوهري، المصدر السابق، ج4، ص1424.

(7) ابن منظور، المصدر السابق، ج9، ص 311.

(8) الزبيدي، المصدر السابق، ص469-470.

لاستدراتها وقيل بسبب اجتماع الناس بها، وقيل لكونها رملة حمراء، أو لاختلاط ترابها بالحصى⁽¹⁾.

وقيل: الكوفان بالضم العِزُّ و المَنَعَة ومنه قولهم إنه لفي كوفان وفتح الكاف، وفي اللسان: أنه لفي كوفان من ذلك أي حرز ومنعة، وسميت كوفة الجند، لأنها اسست لتكون قاعدة عسكرية تتجمع فيها الجند⁽²⁾.

أما في الجغرافيا فوردت بمعنى المواضع المستديرة في الرمل تسمى كوفاني، وبعضهم يسمي الأرض التي فيها الحصباء مع الطين كوفة⁽³⁾، كما قيل أن اسم كوفة مشتق من التكوّف بمعنى التجمع⁽⁴⁾ في حين قيل أن كوفان والكوفة لها معنى واحد وهي الأرض، وقيل سميت الكوفة بجبل صغير في وسطها يقال له كوفان، وعليه اختط⁽⁵⁾ موقعها فكان الجبل مرتفعا فسميت به⁽⁶⁾، وقيل أنها بنيت في منطقة اسمها كويفة ابن عمر، و قيل أيضا أنها سميت كذلك نسبة إلى جبل (ساتيدما)⁽⁷⁾ المحيط بها كالكفافة عليها⁽⁸⁾.

وهناك رأى آخر أنه: لما أراد سعد بن أبي وقاص أن يبني الكوفة، قال: تكوّفوا في هذا الموضع، أي اجتمعوا وبه سميت كوفة⁽⁹⁾.

من خلال ما تقدم من آراء أقوال وروايات مختلفة حول معنى الكوفة فإن الأرجح منها أن التسمية جاءت من صفة الأرض الرملية وأن كل رملة يخالطها حصباء تسمى كوفة.

(1) الزبيدي، المصدر السابق، ج12، ص 469، 470.

(2) نفسه، ص 311.

(3) البلاذري، المصدر السابق، ص 286.

(4) البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: دمال طلبية، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1982، ج4، 29-30.

(5) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 491.

(6) نفسه، ص 491.

(7) ساتيدما: جبل متصل ببحر الروم إلى بحر الهند وهو الجبل بالكوفة كالكفافة ولأجله سميت المدينة بالكوفة، أنظر: البكري، المصدر السابق، ص 711.

(8) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 491.

(9) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار المعارف، د ط، بيروت، د ت، ج2، ص 210.

والدليل الذي يقوي رأي ما ذكره الطبري⁽¹⁾ قائلاً: "كتب سعد إلى عمر أني نزلت بكوفة منزلاً بين الحيرة⁽²⁾ والفرات برية بحريا⁽³⁾، أي أنه مطابق لما أراده الخليفة من المواصفات التي تخدم الجند، خيولهم وإبلهم، ولم يقل نزلت بالكوفة، وبالتالي لم يحدد اسم الموضع بعينه. كما اختلف الباحثون في أصل تسمية كلمة الكوفة ما إذا كانت عربية أو أعجمية، وبعد عملية البحث توصلوا إلى أن الكوفة ذات أصل عربي لأن اسم الكوفة يظهر مشتق من شكل أرض موضع الكوفة وسماته الطبيعية، لذا تحقق أصله الناتج عن الوصف الطبيعي لموضعها⁽⁴⁾، كما أن المناطق التي كانت تحت نفوذ الفرس لا تحمل اسماً في الأصل تطلق⁽⁵⁾ عليها أسماء فارسية، فمنطقة الكوفة سماها الفرس (سورستان) وتعني الصحراء والبادية، وللقس سليمان الصائغ الموصلية رأي عند ذكره للمناذرة قال: "كان مقرّ ملكهم في الحيرة ... بالقرب من عاقولا وهي الكوفة⁽⁶⁾".

لكن من الثابت أن الكوفة قد خطّطت على مقربة من مركز فكري حيري يسمى عاقولا ولقد اتخذها السريان مركزاً لهم، وأصبح له شأن علمي بعد تمصير الكوفة⁽⁷⁾. وعليه فإنّ عاقولا موضع جغرافي قرب الكوفة وليس هي الكوفة، كما ان كوفة لم تكن معروفة قبل أن ينزلها العرب المسلمين.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ج4، ص 189.

(2) الحيرة: على طريق البادية مما يلي العرب ويحيط بها من الشرق النخيل والأعفار والزرع بينها وبين الكوفة فرسخ. انظر: الاضطخري، المصدر السابق، ص 58.

(3) الطبري، المصدر السابق، ج4، ص 189.

(4) عبد الواحد مخلف محمد الديلمي، الكوفة ومكانتها الجغرافية والتاريخية والفكرية، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، ع22، الكوفة، 1443هـ/2021م، ص 730.

(5) طالب علي الشرقي، الكوفة قبل التعصيم، حولية الكوفة، ع8، العراق، 1439هـ - 2018م، ص 7.

(6) جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، دار الاضواء، ط2، بيروت، 1407هـ/1986م، ص 6.

(7) طالب علي الشرقي، المرجع السابق، ص 8.

-تمصير الكوفة:

بدأ تاريخ الكوفة الفعلي كمدينة بعد انهيار الحكم الساساني في العراق⁽¹⁾، وتجمع آراء المؤرخين والبلدان من العرب أن القائد سعد بن أبي وقاص يعد المؤسس الأول للمدينة⁽²⁾. وكما هي الحال بالنسبة إلى سنة تمصير البصرة، فإن هناك تباينا واختلافا في سنة تمصير الكوفة⁽³⁾، فيذكر اليعقوبي أنها أسست سنة (14هـ/635م)، وبصورة أدق قبل تمصير البصرة، وأن قائد جبهة الكوفة سعد بن أبي وقاص هو الذي وجه عتبة بن غزوان نحو منطقة البصرة لتحريرها⁽⁴⁾، في حين جعل الواقدي سنة تأسيسها (17هـ/638م)⁽⁵⁾ بينما يقول أبو عبيدة انها أسست سنة (18هـ/639م)⁽⁶⁾، وينفرد الحموي بالقول أنها مصرت سنة (19هـ/640م)⁽⁷⁾.

والأرجح والمتفق عليه أن الكوفة أسست في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة (17هـ/638م).

لقد كان تأسيس الكوفة من الضرورات التي اقتضتها الفتوحات الإسلامية في زمن الخليفة الثاني، وذلك لأنه لما وصل المسلمون إلى بلاد فارس بقيادة سعد بن أبي وقاص⁽⁸⁾،

(1) أرثر كريستس، إيران في عهد الساسانيين، تر: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1957، ص 485.
(2) هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، الكويت، 1986، ص 15.

(3) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 182.

(4) اليعقوبي، المصدر السابق، ص 73.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ص 648.

(6) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، مرا: مصطفى نجيب فواز وحكمت كئلي فوار، دار الكتب، ط1، بيروت، 1415هـ-1995م، ص 76.

(7) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 491.

(8) لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، تح: بشير فرنسيس كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، د ط، بغداد، 1373هـ/1945م، ص 101.

اقتضت الضرورة الحتمية، بأن تكون لهم نقطة وصل بينهم وبين المدينة المنورة، ومعسكر قريب من ساحة القتال، وأقام سعد في عسكره⁽¹⁾ بالقادسية⁽²⁾ إلى أن أتاه كتاب عمر، يأمره أن يضع لمن معه من العرب دار هجرة، وأن يجعل ذلك بمكان لا يكون بين الخليفة عمر وبينهم بحر⁽³⁾.

ومن فحوى الرسالة يتضح لنا أهمية التفكير بطرق المواصلات البرية لصعوبة إيجاد السفن، أو حتى مد الجسور لعبور المقاتلة لذلك فالمحافظة على المدد العسكري⁽⁴⁾ كان الهاجس المهم وربما لم تكن مشكلة في شبه جزيرة العرب، إلا أنها كانت قد بدأت بدخول المسلمين العراق الغني بمياه الأنهار كدجلة والفرات⁽⁵⁾.

في أول الأمر استقر سعد بالمقاتلة⁽⁶⁾ في مدينة المدائن⁽⁷⁾ بعد تحريرها من الفرس⁽⁸⁾ مدة لتكون مقراً عسكرياً، ولكن سرعان ما كرهوا الإقامة فيها لعدة اعتبارات⁽⁹⁾:

- (1) عبد الواحد مخلف، المرجع السابق، ص 730.
- (2) القادسية: بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين جيش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص وجيش الفرس في 16هـ/636م، في عهد عمر بن الخطاب. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 291.
- (3) البلاذري، المصدر السابق، ص 284.
- (4) صالح أحمد علي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، شركة المطبوعات، ط1، بيروت، 2003م، ص52.
- (5) منير جهاد محمد سبتي، تاريخ الكوفة وتأسيسها وتطورها، مجلة المأمون الجامعة، ع34، العراق، 2019، ص59.
- (6) الدينوري، الأخبار الطوال، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1330هـ، ص126.
- (7) المدائن: عاصمة الملوك من الأكاسرة الساسانية، فكان كل واحد منهم إذا ملك بيني لنفسه مدينة إل جانب التي قبلها، كان فتحها عام 16هـ على يد سعد بن أبي وقاص، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج7، ص75، 76.
- (8) الدينوري، المصدر السابق، ص126.
- (9) صباح كريم رياح الفتلاوي، الكوفة في مرويات مؤرخي القرنين الرابع والخامس هجري الطبري (ت210هـ) والبيكري (ت487هـ) نموذجاً، مركز دراسات الكوفة، ع11، العراق، 2008م، ص139، 140.

- موضع المدائن وإحاطته بالمياه والمستنقعات جعلها عرضة لانتشار البعوض وعرضها أيضا لأخطار الفيضانات⁽¹⁾.
- قرب المدائن من الحدود الفارسية وبعدها عن مركز الخلافة جعلها هدفا قريبا لأعدائها من الفرس.
- هدف الفتوحات الإسلامية في بادئ الأمر كان السيطرة على الجانب الغربي للفرات الأوسط ولا سيما منطقة الحيرة، ولأن السيطرة على هذه الأخيرة تضمن السيطرة الكاملة على طول الفرات.
- تعود العرب المسلمون على الصحراء ذات الفضاء الواسع والهواء النقي.
- خوف عمر بن الخطاب على جنده من الاستقرار في المدن، لأنها تشغلهم عن القتال والحرب وهي مسألة مهمة للجند والمقاتلة⁽²⁾.
- مناخ موضع المدائن أثر على صحة المقاتلين، وقد ظهر على وجوههم ولاحظ الخليفة عمر بن الخطاب هذا في أوجه كل من كان يرد عليه من الوفود، فكتب إلى قائده سعد بن أبي وقاص يسأله عن الأسباب⁽³⁾، فيقول الطبري: «كتب عمر إلى سعد أنبئني ما الذي غير ألوان العرب ولحومهم، فكتب إليه أن العرب خدرهم وكفى ألوانهم وخومة المدائن ودجلة، فكتب إليه أن العرب لا يوافقها إلا ما وافق إبلها من البلدان...»⁽⁴⁾.
- وبناء عليه أمر الخليفة عمر بن الخطاب⁽⁵⁾ سعدا بالتحول من المدائن، فاختار سعد الأنبار⁽⁶⁾، لينزلها ولأسباب صحية وعسكرية وإدارية تركها، ولم ينزل بالحيرة لغلبة النصرانية
-
- (1) الدينوري، المصدر السابق، ص126.
- (2) فاطمة عبد المنعم سعيد الصراف، الحيرة في القرنين الأول والثاني هجري (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 1428هـ/2007م، ص114.
- (3) صباح كريم رياح الفتلاوي، المرجع السابق، ص140.
- (4) الطبري، تاريخ الملوك والرسول، المصدر السابق، ص145.
- (5) نفسه، ص145، البلاذري، المصدر السابق، ص284.
- (6) الأنبار: مدينة تقع على نهر الفرات في غربي بغداد بينها عشر فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص257.

على أهلها من جهة، ومن جهة أخرى قربها من منطقة⁽¹⁾ الأهواز⁽²⁾ ونهر الفرات وبحر النجف وما يتسبب عنهما من فيضانات ومستنقعات⁽³⁾.

ابتعد سعد بضعة أميال واختط الكوفة⁽⁴⁾، وكتب إلى عمر: «إني نزلت الكوفة منزلاً بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً بُنيت الحلي والنصي وخيرت المسلمين بالمدائن فمن أعجبه المقام تركته فيها كالمسلحة»⁽⁵⁾، فأقر الخليفة عمر بن الخطاب الاختيار واتخذت أرض الكوفة سنة (17هـ/637م) مقراً للجيش العربي الإسلامي أريد لها أن تكون داراً هجرتهم ومحلاً لإقامتهم ومعسكراً لحمايتهم يسيطرون بها على العراق وفارس⁽⁶⁾.

من المؤكد أن تخطيط الكوفة لم يأت اعتباطياً بل جاء بعد تحرٍ وترجيح مدروسين وبتوفير عدة مواصفات أهمها:

- عنصر الأمان بعيداً عن المخاطر الطبيعية المحتملة كالفيضانات ومجرى الرياح ومأوى البعوض، حيث يمكن قطع الطريق على الأعداء القادمين من جهة النهر، وعرقلة تقدمهم.
- وجود عنصر الماء وخصوبة التربة الشرطين الضروريين للاستقرار والاستمرار⁽⁷⁾.
- موقع الكوفة يسمح بفرض السيطرة على طول منطقة الفرات الأوسط من الناحية الحربية وممرًا للقوافل التجارية وطريق الحج إلى مكة⁽⁸⁾.

(1) البلاذري، المصدر السابق، ص284.

(2) الأهواز: مدينة تقع في الإقليم الثالث بين البصرة وفارس، ينظر: ياقوت الحموي، ج1، ص285.

(3) البلاذري، المصدر السابق، ص284.

(4) يروى أيضاً أن سعداً بعد أن ترك الإقامة بالمدائن حولهم إلى سوق حكمة وبعضهم يقول إلى كوفة دون الكوفة وهي كوفة ابن عمر لمزيد من التفاصيل ينظر: الدينوري، المصدر السابق، ص125.

(5) الطبري، تاريخ الملوك والرسل، المصدر السابق، ص145.

(6) البلاذري، المصدر السابق، ص284.

(7) هشام جعيط، المرجع السابق، ص97، 98.

(8) عبد الحسين علوان الدرويش، الاستحضار التاريخي لكوفة الإمام علي رضي الله عنه (دراسة تاريخية)، الجامعة المستنصرية، ع35، مج9، ص257.

وفي هذا الموضع يقول الطبري سبب تمصير الكوفة أن قاعدة عسكرية للقسم الأوسط من العراق و دار هجرة للقسم الأوسط، وعاصمة للمسلمين بدلا من المدائن⁽¹⁾.
وينقل لنا كذلك ياقوت الحموي⁽²⁾ موجزا نافعا على لسان ابن ببيعة الغساني ذكره لقائد سعد بن أبي وقاص يقول فيه «هل أدلك على أرض انحدرت عن الفلاة وارتفعت عن المبيعة؟ قال : نعم، فدله على موضع الكوفة»⁽³⁾.
ويُرى كذلك أن العرب اختطوا مدنهم في أطراف الصحراء، لأن هذه المدن أشبه بلواء من ألوية الجيش وأنها المنافذ والثغور في الصحراء⁽⁴⁾.
وبناء على ما تقدم نخلص أن اختياز وانتخاب موضع الكوفة بالشروط المذكورة آنفاً، يؤكد رجاحة وبعد نظر المتمدين الإسلامي في هذه الفترة، ويؤكد إحاطة المسلم العربي بشروط الاستقرار والاستمرار حتى وإن كان الغرض من الإقامة فيها عسكري بحت، فالمقاتلة تحتاج إلى شروط صحية تموينية للاستمرار وتحقيق التوسع للأرض الإسلامي
تقدم الروايات التاريخية المتعلقة ببداية تخطيط الكوفة عناصر متشابهة مع تلك التي وجدت في البصرة عند اختيارها، أهمها وضع طبوغرافيات لمنشآت ومؤسسات الإدارة، عدد من البيوت المتفرقة التي ينتظمها نظام قبلي ووحدات عمرانية قليلة وبسيطة⁽⁵⁾.
استقر المقاتلين العرب في المرحلة الأولى في خيام وفساطيط، كما هو الحال في البصرة، وهذا ما أورده الطبري في رواية مفادها أن العرب الساكنين في الكوفة استأذنوا

(1) الطبري، تاريخ الملوك والرسل، المصدر السابق، ص 648.

(2) توجد روايتين أخريين عند اختيار موضع الكوفة للمزيد من التفاصيل ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، 640، البلاذري، المصدر السابق، ص 284.

(3) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 491.

(4) صباح كريم الفتلاوي، المرجع السابق، ص 141.

(5) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 187.

الخليفة في استخدام القصب لبناء وتشبيد منازلهم، وكان جواب الخليفة عل طلبهم هذا أن العسكر أجد لحربهم، وأذكى لكم وما أحب أن أخالفكم⁽¹⁾.

وافق الخليفة على البناء بالقصب بعد أن تأكد أنه لن يكون عائقا أمام تحركهم وانتقالهم من مكان إل آخر، لأنه أراد من العرب الاستمرار في القتال لا للاستقرار⁽²⁾، فالبناء بالقصب كذلك يتميز بعدم ثباته حيث يسهل إزالته وهذا ما ذكرته الرواية التاريخية "كانت منازل أهل الكوفة قبل أن تبنى أخصاصًا من قصبٍ، إذا غزوا قلعوها وتصدقوا بها، فإذا عاودوا بنوها ونساؤهم معهم⁽³⁾".

على الرغم من أن سعد بن أبي وقاص لما وصل الموضع أمر ببداية البناء حيث أمر ببناء المسجد وأمر الناس ببناء منازلهم⁽⁴⁾، إلا أن هذه البداية المبكرة في البناء لا يمكن اعتبارها البداية الحقيقية للتأسيس، نظرًا لعدم البناء كونه معسكرًا ينتقلون منه ويرجعون إليه حسب الظروف التي حتمت عليهم ذلك⁽⁵⁾.

اقتداء بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم عند هجرته إلى يثرب (المدينة المنورة)، واستقراره فيها، أمر بتأسيس المسجد، وعليه فإن أي حاضرة جديدة أو محررة يجب أن ينهض فيها المسجد أولاً، وكان الأمر كذلك، فقد حُدد موضع المسجد في الوسط ليتيسر لعامة المسلمين أداء الفرائض، والاتصال بالوالي، والانتفاع من المتتورين في الوقوف على مبهمات الشريعة وتفصيلها⁽⁶⁾.

(1) الطبري، تاريخ الملوك والرسل، المصدر السابق، ص648.

(2) علي مفتاح عبد السلام الحولي، المرجع السابق، ص222.

(3) ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص491.

(4) ابن كثير، المصدر السابق، ج7، ص75.

(5) علي مفتاح عبد السلام الحولي، المرجع السابق، ص228.

(6) طالب شرقي، المرجع السابق، ص8.

لم يكتف السكان بمسجد واحد في حاضرتهم، فشيّدوا المساجد أصغر حجماً وأقل منزلة من مسجد الكوفة - الجامع الكبير -، منها مسجد ظُفر (مسجد السهلة الكبير) ومسجد جعفي وغيرها⁽¹⁾.

أما دار الإمارة فخطت موضع الفضاء المتصل بالمسجد من جهة القبلة، أما مناهج الكوفة فإن الطبري حدثنا " أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى سعد بيانا كافيا عما ينبغي أن تكون سكك الكوفة وطرقها وأزقتها حينما شرع في تخطيط المدينة، أمر أن يكون المنهج الواحد أربعين ذراعاً، أما الأزقة فتكون سبعة أذرع، أما الدور فقد خطت حول المسجد وعلى ما يبدو كانت مساكن للصحابة، أما أهم الدور بعد الإمارة كانت دار الرزق، أما الأسواق فقد خطت من القصر والمسجد، وكانت فضاء لا بناء فيها ولا سقوف سوى ظلال، وبقيت على حالها حتى ولاية⁽²⁾، خالد بن عبد الله القيسري⁽³⁾، ووضعت الخطط القبلية للقبائل المتواجدة في الكوفة وحددت مناطق معينة لسكانها⁽⁴⁾.

كانت الكوفة تخلص من السور وذلك لأنها كانت في تبدل وتوسع دائمين، فضلا عن انعدام الحاجة إلى السور لبقاء ارتباط الموضع بمركز القيادة العربية بشكل ميسور⁽⁵⁾. وبناء على ما تقدم يتضح لنا حرص القيادة الإسلامية على تنظيم موضع الكوفة من جميع النواحي الدينية السياسية الاقتصادية والاجتماعية بهدف الارتقاء بالمدينة وتثبيت

(1) الطبري، تاريخ الملوك والرسول، المصدر السابق، ص 649.

(2) نفسه، ص 649، 650.

(3) خالد بن عبد الله القيسري : أمير العراقيين وأحد خطباء العرب وأجوادهم من أهل دمشق ولي مكة سنة 89هـ من قبل الوليد بن عبد الملك ثم ولاء هشام بن عبد الملك الكوفة والبصرة سنة 105هـ، وقتله يوسف بن عمر الثقفي في الحيرة، ينظر: ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: إحسان غياث، دار صادر، (د. ط)، بيروت، 1990، ج 2، ص 227.

(4) الطبري، تاريخ الملوك والرسول، المصدر السابق، ص 650.

(5) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص 199.

وجودها واستمرارها لأنه من أساسيات بقاء المدينة وصمودها ضرورة وجود تنظيم محكم شامل يسيرها و يلبي جميع حاجات المسلم.

1. فضل الموقع على ازدهار اقتصاد المدينة:

لعبت العوامل الطبيعية دورا كبيرا وبارزا في إقامة المدن العربية الإسلامية وتطورها، حيث كانت الخطوة الأولى لإنشاء أي مدينة تقوم على تحديد خصائص المواضع والمواقع الجغرافية والإستراتيجية، والتي تتمثل في طبيعة المكان وتضاريسه وتربته ومناخه ومصادر المياه فيه، بالإضافة إلى نوعية الموقع -بري أو بحري- إذ كلما سهل الوصول إلى إقليم المدينة كلما زادت قيمتها وتفاعلها مع الأقاليم الأخرى، ومما يزيد من أهمية المدينة وقوعها على طرق المواصلات مما يؤدي إلى ازدهارها وينعكس بالتالي على عمارتها ومخططها العام⁽¹⁾.

أدرك المسلمون منذ البداية أهمية العوامل الجغرافية في اختيارهم للأماكن المهيئة لإقامة المدن عليها، وهذا واضح في إنشائهم لمختلف المدن خصوصا المبكرة منها، ويتضح هذا من خلال ما قام به الخلفاء المسلمون منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ومن تلاه من الخلفاء الراشدين وخلفاء الدولة الإسلامية من بعده من استطلاعات مباشرة وكثيفة للمكان، وذلك بإرسال المبعوثين أو القادة وأحيانا يقومون بفحص الموقع وتقدير مدى صلاحيته للسكن كل هذا يدل على استيعابهم للظواهر الطبيعية والجغرافية، التي تؤدي إلى نمو المدينة وازدهارها وتأثير كل ذلك في على التكوين البشري والعمراني فيما بعد⁽²⁾.

(1) عادل مبروك المختار الفار، المدن الإسلامية المبكرة، مجلة الإعلام والفنون، ع6، 2022م، ص202، 203.

(2) يحيى وزيري، العمارة الإسلامية والبيئة، مطابع السياسة، (د. ط)، الكويت، 1425هـ/2003م، ص93.

من أوائل المدن العربية الإسلامية التي أنشأت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب مدينة الكوفة والتي أنشأها سعد بن أبي وقاص (17هـ/638 م) التي أرادها أن تكون مستقرا لسكن المجاهدين وعوائلهم بعد التيقن من توفر شروط الاستقرار والاستمرار⁽¹⁾.

اختيار موضع الكوفة لم يكن اختياراً اعتباطياً بل كان مبني على أسس وشروط طبيعية جغرافية⁽²⁾، دون إغفال العامل العسكري في بناء هذه المدينة بذلك وضع عدّة إعتبارات يتطلبها هذا الغرض كأن تكون على طرف البر أو على طرف الصحراء أو قريبة من الريف، ولقد اطلع الخليفة عمر بن الخطاب على المواصفات التي وضعها سعد⁽³⁾ "لا تجعل بيني وبينكم بحرا"⁽⁴⁾ وذلك لتسهيل وصول الإمدادات وتأمين طرق المواصلات⁽⁵⁾، وهذا يدل أن المسلمين انطلقوا في تأسيس مدنهم من معطيات واعية إستشرافية تتطلبها حاجاتهم ومتطلباتهم لبقاء المدن واستمراريتها في البلاد المفتوحة.

تتميز الكوفة بموقع جغرافي حيوي متميز، وذلك من خلال قربها من نهر الفرات من الجانب الشرقي الذي كله حدائق نخيل ملتقة⁽⁶⁾ جعلها نقطة اتصال والتقاء بين عالمين على الأمداد العربية القادمة من الصحراء، ويشرف على السواد المعروفة بخصوبتها⁽⁷⁾ وقد ذكر ابن قتيبة أن الحكماء قالوا "لا تبني المدائن إلا على ثلاثة أشياء على الماء والكلاء والمحتطب"⁽⁸⁾.

(1) عبد الجبار ناجي، المرجع السابق، ص183.

(2) طالب علي شرقي، المرجع السابق، ص8.

(3) البلاذري، المصدر السابق، ص284.

(4) نفسه، ص284.

(5) عادل المبروك المختار فار، المرجع السابق، ص206.

(6) ابن جبير، المصدر السابق، ص169.

(7) هشام جعيط، المرجع السابق، ص97.

(8) الدينوري، عيون الأخبار، تح: ثروة عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992، ص313.

فالكوفة تقع بالمكان الذي يد لع البر لسانه⁽¹⁾ في الريف المروري وفي موضع متقدم من البر على سطح يقع فوق شاطئ الفيضان للفرع الرئيسي للفرات في ذلك العصر على ارتفاع يناهز 22 مترا على مستوى البحر⁽²⁾، ويرتفع فوق الموضع فوق النجف⁽³⁾ غربا⁽⁴⁾ الذي كان بمثابة الحوض المالح، وفو البطائح جنوبا التي كانت تمتد حتى البصرة، وهذه البطائح مساحة غارقة في الماء ينبت فيها القصب والحلفاء⁽⁵⁾.

إن قرب الكوفة من النهر الذي يعتبر أساس لبناء المجتمعات البشرية يؤثر على مناخ وطبيعة أرضها، مما يساعد على جذب السكان واستقرارهم من خلال ممارسة الزراعة وإنتاج احتياجاتهم فكانت تنتج أجود التمور وألذها⁽⁶⁾، ومما لا شك فيه أن كثرة الإنتاج سيؤدي إلى بيعه والتجارة به وبالتالي ينعكس إيجابا على اقتصاد المدينة ومختلف ويخلق حيوية للأسواق الكوفية⁽⁷⁾.

ويبدو أن أعمار المدن تستمر طالما استمر الطريق وكل تحول أو اندثار للطريق يعني نفس المصير للمدينة، ولقد أدرك العرب المسلمون أهمية ذلك فنجد الكوفة تتفرد بشبكة طرق برية تتمثل في طريق بري يربط السهل بالصحراء، ينحدر من بلاد فارس عبر المدائن ثم

(1) الطبري، المصدر السابق، ص648.

(2) هشام جعيط، المرجع السابق، ص97.

(3) النجف: موضع بظهر الكوفة يمنع ميل الماء إلى الكوفة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص271.

(4) ابن رسته، الأعلام النفيسة، طبعة ابريل، (د. ب. ن)، 1892، ص99

(5) البلاذري، المصدر السابق، ص286.

(6) منير جهاد سبتي، المرجع السابق، ص62.

(7) دراجي خيرة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية للكوفة في القرن الأول هجري، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع10،

المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، مج5، ص17.

مسالك الصحراء، وقد استخدم أيضا للحج⁽¹⁾، وملتقى القوافل التجارية القادمة من الصحراء⁽²⁾، والطريق الآخر يصل الكوفة بواسطة⁽³⁾ غربي الفرات⁽⁴⁾.

كما أن موقعها يعتبر ثغرا من ثغور البادية لتبادل البضائع التجارية بين الفرس والبدو وأصحاب الإبل، وكانت بمثابة جسر يربط بين الجماعات المنتشرة في البادية وبين أهل المدن والقرى الذين سكنوا عند الحيرة والنجف، كما لم تغفل الدولة الإسلامية لأهمية الطرق الخارجية⁽⁵⁾، ومتطلبات حمايتها والاهتمام بها من أجل خلق منافذ أو قنوات تبادلية ودعم الأبعاد الاقتصادية، ولا يفوتنا الحديث عن موقع الكوفة الاستراتيجي القريب من الحيرة عاصمة دولة المناذرة⁽⁶⁾ ذات الطابع المتمدن الحضاري المتفاعل مع الحضارة المجاورة، فضلا إلى أنها بجانب النجف الذي كان مصيفا ومنتزها لملوك المناذرة خصوصا لما يمتلكه من مناظر طبيعية خلابة⁽⁷⁾.

من خلال ما تقدم نستخلص فعالية الموقع الجغرافي للكوفة اقتصاديا، والرؤية الاستراتيجية التي يتميز بها القائد العربي المسلم من خلال التحري والترجيح للموقع الجغرافي الأصح والأنسب.

(1) الموسوي، المرجع السابق، ص208.

(2) هاشم حسين ناصر المحنك، موجز تمصير الكوفة وعمرانها حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، دار أنباء، ط1، العراق، 1426هـ/2006م، ص4.

(3) واسط: مدينة عراقية تتوسط الكوفة والبصرة، ينظر: ياقوت الحموي، ج5، ص347.

(4) الموسوي، المرجع السابق، ص208.

(5) هاشم حسين المحنك، المرجع السابق، ص47.

(6) دولة المناذرة تتواجد فيها الحيرة والأنبار عمال الفرس في العراق كما كان الغساسنة عمال الروم على مشارف الروم، ينظر: الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر، ط4، 1415 هـ/1994 م، ص122.

(7) هاشم حسين ناصر، المرجع السابق، ص43.

2- تقدير الشوارع:

تقدر الشوارع في المدينة الإسلامية بصورة تتناسب والاستخدام البشري ووسائل النقل المتاحة آنذاك، والتي كانت إما دواباً أو بواسطة الإنسان، ولذا فإن من درسوا المدن الإسلامية وعابوا على ضيق شوارعها درسوها من منظور المتطلبات المعاصرة لحركة النقل ولم يراعوا طبيعة العصور التي شيدت فيها المدن⁽¹⁾.

إن العلاقة بين الشارع أو الحارة أو الزقاق أو القاطنين فيه علاقة ترابطية تراحمية، فالشارع في المدينة الإسلامية مرتبط بالعقار ومالكه حيث أن الشارع مسؤولية السلطة المركزية، وبالتالي لا علاقة بين الشارع والقاطنين فيه⁽²⁾.

عند اختطاط مدينة الكوفة أمر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سعد بن أبي وقاص أن تكون الطرقات أربعين ذراعاً وما يليها ثلاثين ذراعاً وما بين عشرين ذراعاً وبالأزقة سبع أذرع ليس دون ذلك وفي القطائع ستين ذراعاً⁽³⁾.

ومع تطور الكوفة وتوسع خطتها أصبحت الشوارع الرئيسية الأصل الذي تنفرع منه جميع الشوارع الفرعية والسكك والأزقة، وقد روعي في ذلك الأهمية وتدفقات الحركة على كل محور من محاور المرور في المدينة، وأوكلت مهمة تنظيم الحركة في الشوارع الرئيسية والفرعية، وإزالة الضرر الذي تحدثه الساكنة إلى المحتسب⁽⁴⁾.

وقد وجه الفقهاء إلى حدود المقاييس المناسبة للارتقاء بهذه الطرق فذكروا أن الناس يجب أن يتركوا لشوارعهم وأزقتهم ما يتلاءم مع أقصى ارتفاع وأضخم شيء يمر من خلالها،

(1) خالد محمد مصطفى عزب، تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية، دار النشر للجامعات، ط4، مصر، 1417هـ/1997م، ص77.

(2) خالد محمد مصطفى عزب، المرجع السابق، ص77.

(3) الطبري، تاريخ الملوك والرسول، المصدر السابق، ص684.

(4) موشموش محمد، الطرق والأحياء للمدينة الإسلامية، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع1، الجزائر، 2022م، ص249.

وأن هذا لا يجب أن يحدد بجمل، ولقد سار الخلفاء على هذا النحو فكانت القوانين الإسلامية التي حكمت تخطيط وتقدير الشوارع والطرق، أوضحت العلاقة بينها وبين التكوينات المعمارية بما لا يضر الجار والمار⁽¹⁾.

ومن خلال ما تقدم نستخلص أن تقدير الشوارع في المدينة الإسلامية مبني على أسس ومعايير تأخذ بعين الاعتبار الحركية السكانية والتجارية، بهدف جعل المدينة الإسلامية في حالته حيوية وإنتاج ولقد أخذ بعين الاعتبار كل الحالات مما يدل على شمولية الفكر التخطيطي والتقديري للمتمدن المسلم.

3- التموين الزراعي:

بعد استقرار الجنود في الكوفة وبناء مستقراتهم، أصبح توفير غذائهم أمر ضروري، وبما أن الكوفة كانت على مقربة من نهر الفرات، شجع ذلك السكان على ممارسة الزراعة⁽²⁾. وقبل تاريخ تمصيرها واعتمادها مدينة في (17هـ/636م)، تميزت الكوفة بتنوع الأنشطة الزراعية فقد قال البلاذري في الموضع بأن أديرة العراق امتازت ببساتينها الواسعة وأزهارها حيث كان ينمو بالكوفة الزهر والورد (العذراء الخزامي، الأفيون...)⁽³⁾. ولقد أبدى الخلفاء الراشدين منذ عهد الخليفة عمر ابن الخطاب أهمية كبيرة في إحياء الأراضي، والتشجيع على الزراعة وإقامة مشاريع الري في أرض السواد، فشقوا الأنهار وحفروا القنوات والترع، وجروا المياه، كما شجعوا إحياء الأرض الموات، وجعل عمر بن الخطاب من أحيا أرضاً ميتة فهي له، وجعل من أخذ أرضاً فعطلها ثلاث سنوات أو لم يقوم على عمارتها لا حق له بها⁽⁴⁾.

(1) موشوش محمد، المرجع السابق، ص 249.

(2) دراجي خيرة، المرجع السابق، ص 97.

(3) هاشم حسين ناصر المحنك، أوضاع الكوفة الاقتصادية في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، دار أنباء للنشر والطباعة، ط1، العراق، 1424هـ/2003م، ص 65.

(4) هاشم حسين ناصر المحنك، أوضاع الكوفة الاقتصادية، المرجع السابق، ص 65.

كما شهد العصر الأموي أيضا عناية كبيرة من الخلفاء والولاة بالزراعة واستصلاح الأراضي واعتنوا بأمر البطائح وتجفيفها والتي كانت مشكلة تعيق الزراعة في الكوفة والعراق عموماً⁽¹⁾.

ومن محاصيل الكوفة الزراعية السمس والذرة والعدس وتصدره المدينة إلى سائر أسواق العراق الفاكهة و الزيوت المستخرجة من بذور الكتان⁽²⁾.

كما كانت مدينة الكوفة من أكبر مراكز زراعة النخيل، فتمتد مزارعه غربا حتى مدينة القادسية وحتى مدينة الأنبار، وكان التمر أيضا عنصرا أساسيا في تجارة مدينة الكوفة، إذ كان للتمارين سوقا خاصة في هذه المدينة كذلك انتشرت زراعة الفواكه وكثرت وتعددت أنواعها كالعنب، وقد لاحظ المغيرة بن شعبة أن إنتاج العراق من الفواكه زاد على إنتاج الحنطة والشعير، كما اشتهرت بالبساتين الجميلة التي أحيطت من جميع الجهات⁽³⁾.

من خلال ما تم عرضه من السياسة الزراعية التي اتبعتها الخلفاء منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب خلصنا إلى حرص القائد المسلم على ضرورة توفير التموين الزراعي للسكان والمدينة حتى تستطيع المواصلة والاستمرار، وفرض وجودها أمام المدن الأخرى ولا يكون الأمر كذلك يمس ساكني المدينة من خلال توفير مختلف المستلزمات الغذائية للاستمرار، وذلك بحسن استغلال الأراضي الزراعية، والتشجيع على خدمتها وبالتالي توفير مصدر دائم للسوق، فكثرة الإنتاج الزراعي يؤدي إلى تنشيط الحركة التجارية للمدينة داخليا وخارجيا ومن ثم تعدد أدوارها من السياسية إلى الاقتصادية.

وبطبيعة الحال لا يكون هذا الحضور الاقتصادي إلا من خلال حسن اختيار الموضع الجغرافي الذي يعتبر أساس الإنتاج الاقتصادي عامة والزراعي خاصة.

(1) محمد ضيف البطاينة، الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، دار طارق للطباعة ونشر، الأردن، (د. ت)، ص108، 110.

(2) رعد صالح هادي، أسواق الطرق الإسلامية في العصر الأموي، دراسات تربوية، ع24، 2013، ص158.

(3) نفسه، ص158.

الموقع المميز في اختيار المدينة لا بد من إحاطته بحزام ريفي منتج يضمن استمرارية المدينة وصمودها أمام الكوارث الطبيعية.

4- الأسواق عصب المدينة:

الأسواق عصب المدينة:

من متممات لوازم الحياة الحضرية وجود الأسواق تمتلك الأهمية البالغة والفاعلة في البناء الاقتصادي للمدينة⁽¹⁾.

كانت أسواق الكوفة فضاء لا بناء فيه ولا سقوف سوى ظلال في بواحي من حصير وقصب، والنظام فيها على سنة المساجد، فمن سبق إلى موضع له حتى يفرغ منه، هكذا قال الخليفة عمر بن الخطاب وبقيت الأسواق على حالها حتى ولاية خالد بن عبد الله القسري، فهو أول من بناها بناء محكما⁽²⁾.

بتوقف ازدهار الأسواق، وتنوع معروضاتها، وتعدد المهن فيها على معطيات الزراعة والتجارة⁽³⁾، والمقدسي يقول عن الكوفة بأنها قسبة جليلة خفيفة حسنة البناء جليلة الأسواق كثيرة جامعة مانعة⁽⁴⁾.

أول ما ظهرت الأسواق واحتلت موقعا في الكوفة، كان وسط مدينة وكانت تعرف باسم السلعة التي تغلب عليها، فصنف القسري الأسواق حسب عروض التجارة ومن أسواق الكوفة المتخصصة سوق القلائين، إذ تباع فيها اللحوم المقلية، وسوق الجزارين والنحاسين والزياتين، وهناك أيضا أسواقا لأصحاب التمر والسّمك وسوق للإبل وأصحاب الخبز⁽⁵⁾.

(1) طالب علي شرقي، المرجع السابق، ص 9.

(2) البلاذري، المصدر السابق، ص 284.

(3) طالب علي شرقي، المرجع السابق، ص 9.

(4) المقدسي، المصدر السابق، ص 116.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المصدر السابق، ص 648.

وكانت هناك أسواق جامعة تعرض فيها مختلف السلع التجارية، ثم أصبحت فيما بعد بعض الدور محال تباع فيها السلع مثل دار الوليد للقصارين⁽¹⁾.

كان لنظام تخصص الأسواق مزايا حسنة، إذ سهل مهمة الإشراف عليها، كما لا يستطيع التاجر الجشع أن يرفع سعر سلعته خوفاً من منافسيه وبالتالي يقل احتمال حدوث الاحتكار⁽²⁾، ومن الأسواق الأكثر شهرة في الكوفة سوق الكناسمة مثل المربد بالبصرة، تمركزت فيه الأشغال التجارية وكانت في نواحي أسواق البراذين تجرى فيها المعاملات على المشية من بغال، وحمير، وإبل واكتراء وهناك يباع الرقيق⁽³⁾.

ولأهمية الأسواق علاقتها بالمجتمع واقتصادياته، حيث ظهرت الحسبة وقد بدأت بمراقبة الغش في الطعام وفي المكاييل والموازين⁽⁴⁾.

شهدت أسواق الكوفة انتعاشاً تجارياً من خلال ما تنتجه الزراعة والصناعة، فلقد شاعت أسواق الكوفة بتجارة التمر، كما أن لها شهرة واسعة في صنع العمائم المنسوجة من الخبز وصنع المناديل الحريرية، والتي مازالت حتى اليوم بالكوفية، وصناعة الخمر التي تضعها النساء على وجوهها، ولقد اعتنى الولاة بذلك واتخذوا دوراً للطرز والإنتاج، كما تميزت الكوفة بوجود الصيارفة والمسلمون الذين كانوا يحققون أرباحاً في الصفقات⁽⁵⁾.

من خلال ما تقدم نخلص إلى أنّ الأسواق حقيقة هي عصب اقتصاد المدينة من خلال الأرباح المالية التي تحصل من بيع مختلف المنتجات الصناعية، والزراعية، وجودتها يؤكد فعالية المسؤول الإسلامي، وحرصه الشديد على تنظيمها وتفعيلها.

(1) رغد صالح هادي، المرجع السابق، ص 155، 156.

(2) نفسه، ص 157.

(3) السيد البراقي، تاريخ الكوفة، منشورات المكتبة الحيدرية، ط 3، العراق، 1388هـ / 1998م، ص 148.

(4) رغد صالح هادي، المرجع السابق، ص 155، 156.

(5) نفسه، ص 161.

5-المياه وأثرها الاقتصادي:

من أهم الشروط الأساسية والضرورية للاستقرار والاستمرار البشري في المدن الماء، لا تبنى المدائن إلا على ثلاث أشياء على الماء والكلأ والمحتطب⁽¹⁾.

وبما أن الكوفة على مقربة من نهر الفرات وبالتالي تفرّعت عدة أنهار منه، وأصبح لكل قبيلة من قبائلها عين، فقد ذكر العذيب وفردوس وهما ماء لبني تميم عن مرحلة من الكوفة، وبسواد الكوفة موضع يقال له ملح، وهو ماء لبني العدوية، كما ذكر الحفائر وهو ماء لبني قريط على يسار الكوفة وغيرها من العيون⁽²⁾.

موقعها الجغرافي القريب من نهر الفرات والنجف وفر لها الماء⁽³⁾ الذي امتاز بالعدوية والنقاوة والبرودة⁽⁴⁾، ولقد ذكر المقدسي أن لأهل الكوفة "آبار عذبة حولها نخيل وبساتين"⁽⁵⁾، فمياه الفرات كانت مصدر الثروة الزراعية للكوفة فنجد سكانها، توجهوا إلى الزراعة وإنتاج احتياجاتهم، فكانت تبيع أجود التمور وألذها⁽⁶⁾ منها النرسيان⁽⁷⁾ وهو مما تفاخر به أهل الكوفة على أهل البصرة، وذكر ابن الفقيه أن الكوفة تأتيهم ثمارهم لم تخضد لم يصبها ذبول ولا انعصار لأنها تحمل في الأنهار الجارية فتؤديها إليهم⁽⁸⁾.

وتوفر التمر بفضل كثرة المياه أدى إلى إنتاجه بكثرة مما يؤدي بيعه إلى رواج تجارته داخليا وخارجيا⁽⁹⁾.

(1) الدينوري، المصدر السابق، ص 313.

(2) دراجي خيرة، المرجع السابق، ص 98.

(3) عبد الواحد خلف الدليمي، المرجع السابق، ص 732.

(4) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص 205.

(5) المقدسي، المصدر السابق، ص 117.

(6) دراجي خيرة، المرجع السابق، ص 98.

(7) النرسيان: أجود تمور الكوفة، ابن منظور، المصدر السابق، ج 4، ص 342.

(8) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص 206.

(9) عبد الواحد خلف الدليمي، المرجع السابق، ص 732.

أولى الخلفاء الراشدون والولاة منذ عهد عمر بن الخطاب اهتماما بتوفير الماء، والعناية بمصادره وبناء الجسور وحفر الآبار على غرار ما قام به زياد بن أبيه الذي أنشأ جسرا يمنع طغيان الماء على الكوفة مما ساعد على استغلال الأراضي، كما أعطى هذا المشروع فرصة لإدخال النباتات المعمرة إلى تلك الأراضي بدلا من الإقتصار على زراعة المحاصيل الموسمية، ونظرا لأهميته ظل الولاة يتعهدونه طيلة فترة العصر الأموي⁽¹⁾.

من خلال ما تقدم نخلص إلى أهمية مصادر المياه في الإنتاج الزراعي والاستقرار البشري للمدن الإسلامية لأنها تعتبر من أساسيات وضروريات قيام المدن، فعصب المدينة الماء بتوافره تستمر وتحيا، وباندثاره أو نقصه تقصى.

(1) دراجي خيرة، المرجع السابق، ص 98-99.

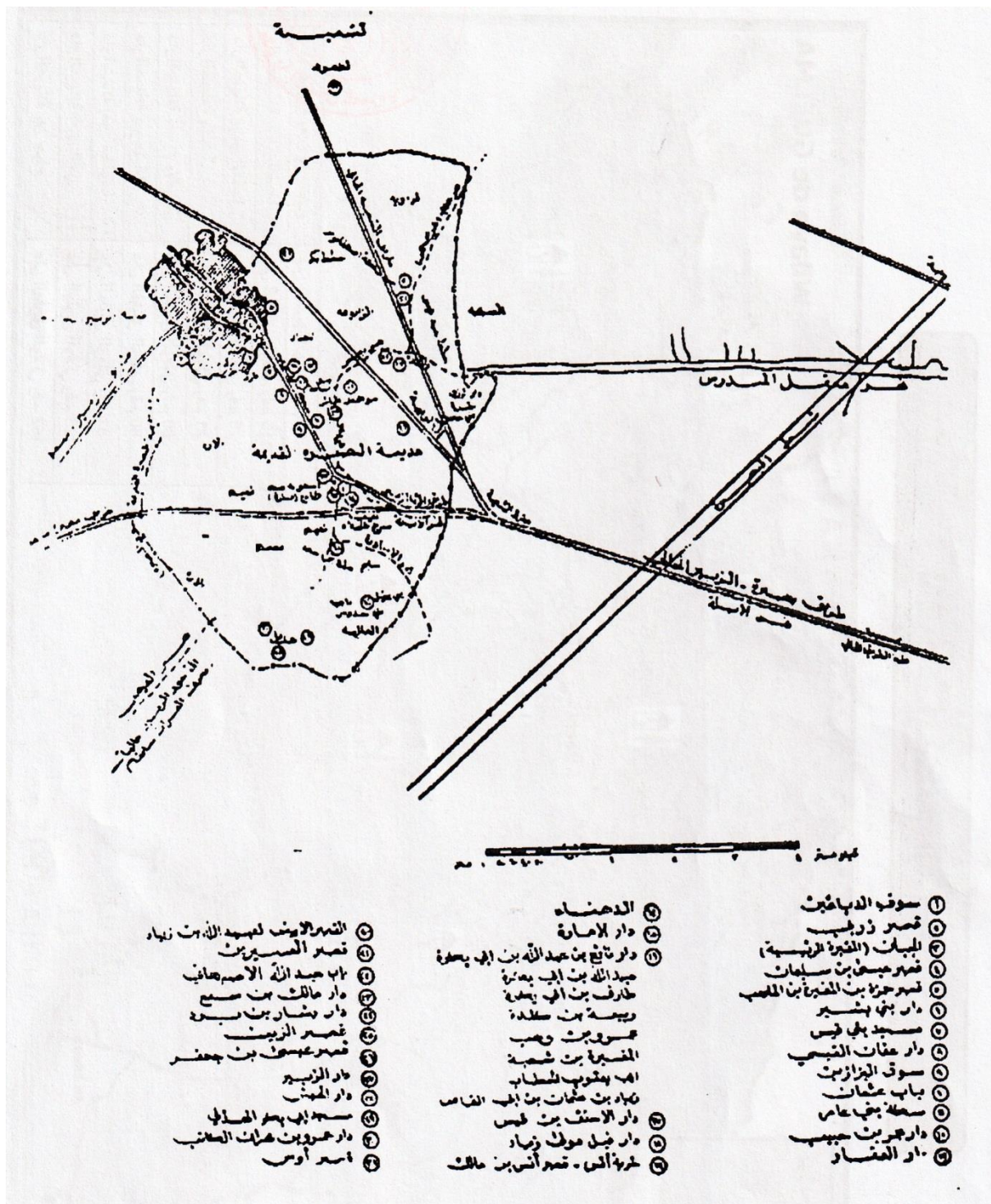
خاتمة

- انطلاقاً مما تم التطرق إليه في دراستنا توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:
- اكتسبت المدينة أهمية في التاريخ الإنساني وتطوره الحضاري، فالاستقرار وتعمير المدن أدى إلى تطور العلاقات وتمكين التفاعل الإنساني والتبادل الحضاري، كما أدى إلى بروز منشآت منظمة للحياة اقتصادياً، فكرياً، حضارياً واجتماعياً، حيث برزت المدن الإسلامية بخططها وتنظيماتها التي تتم من عبقرية الفكر الإنساني، واستمدت أحكامها من الشرع الإسلامي واستطاعت بذلك أن تبني مجتمعا حضارياً يسوده الاستقرار ويميزه الازدهار، وسمته الاستمرار.
 - استهدفت التنظيمات التي تسود المدن تأمين اجتماع الأفراد وقد وضع تخطيط المدينة الإسلامية تماشياً مع الأوضاع السائدة واهتمامات السكان والمتطلبات المتاحة.
 - نشأة المدن الإسلامية الأولى خارج شبه الجزيرة العربية (البصرة والكوفة)، وقد انطبقت عليها الشروط التي أريد أن تكون عليها المدينة الإسلامية بداية كظهير عسكري لتتطور إلى مدن زاهرة نظراً لميزة جانبها الاقتصادي.
 - توسع المدن الإسلامية خارج شبه الجزيرة العربية نتيجة للفتوحات الإسلامية، ودليل واضح على تخطيط محكم وجهود جبارة في بناء الدولة الإسلامية المترامية الأطراف والقوية بمواردها الاقتصادية والبشرية، والتي استطاعت انطلاقاً من البحث على الشرط الاقتصادي في تعميرها بأن تكون مراكزاً إسلامية هامة اقتصادياً وتجارياً فكرياً وحضارياً
 - حرص المسلمون على المتطلبات الاقتصادية في إنشاء مدنهم كإحدى الشروط لتمكينها وتوسعها وتطورها.
 - كانت المدن الإسلامية مدن معسكرات إذ حرص الخليفة أن لا يفصل بينها وبين عاصمة دولة الإسلام حاجز مائي إلا أنها سرعان ما أصبحت من المدن الزاهرة إذ كانت البصرة أول مدينة إسلامية تمثل مركزاً لتجارة العراق، وكانت أهم موانئها وأسواقها أهم الأسواق وفضل طرقها استمد من أهمية موقعها الاستراتيجي.

- تعد الأسس الاقتصادية كالموقع بأهميته والماء وتقدير الشوارع والتموين بالغذاء وتقدير الأسواق من أبرز الشروط الاقتصادية لتعمير المواضع التي اختيرت بناء على تلك الأسس الاقتصادية وكان تأثيرها فاعلا في مختلف المجالات.
- اختيار المدن الإسلامية لم يكن اختيارا اعتباطيا عشوائيا بل كان بعد تحر مدروس مبني على تخطيط محكم.
- استمرار المدينة وديمومتها يتوقف على حسن اختيار الموضع وما يتميز به أهمية اقتصادية.
- المدن المنشأة البصرة (البصرة والكوفة) المبكرة مثلت انعكاسا صادقا للفكر الرشيد للقائد العربي المسلم.
- سبق التاريخي للمسلمين في التخطيط للمدن الذي أصبح النواة الأولى لإنشاء المدن قبل أن تعرف البشرية تلك العلوم الطبيعية الطبوغرافية والتنظيم العمراني رغم محاولة المستشرقين تقزيم الدور العربي الإسلامي في هذا المجال وطمس الدور الريادي في قيادة الحضارة.
- إن العامل الاقتصادي يكتسي أهمية بالغة في التخطيط للمدن لا يقل وزنا وتأثيرا عن العمل العسكري السياسي.

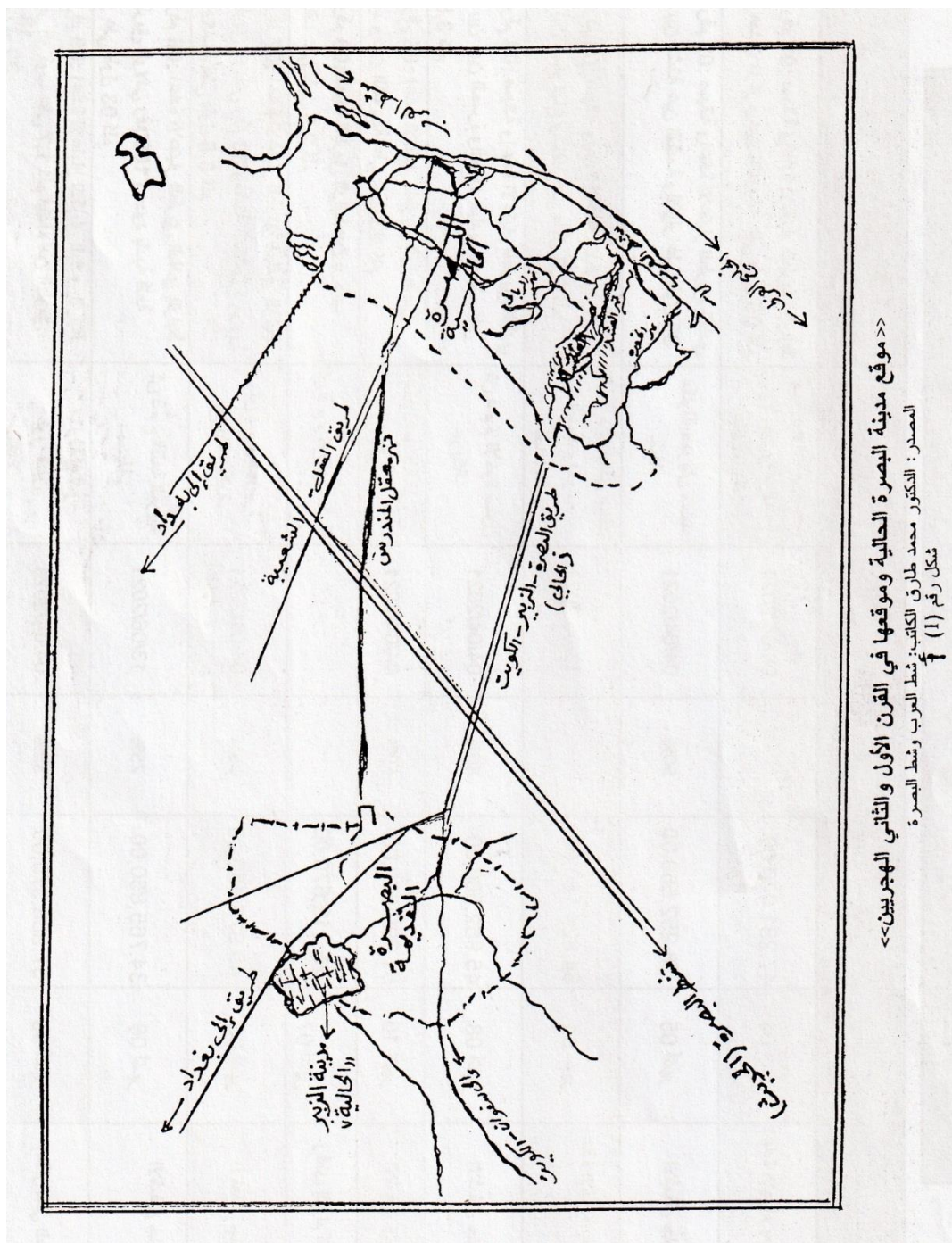
الملاحق

الملحق رقم (1): خريطة توضح مخطط مدينة البصرة القديمة



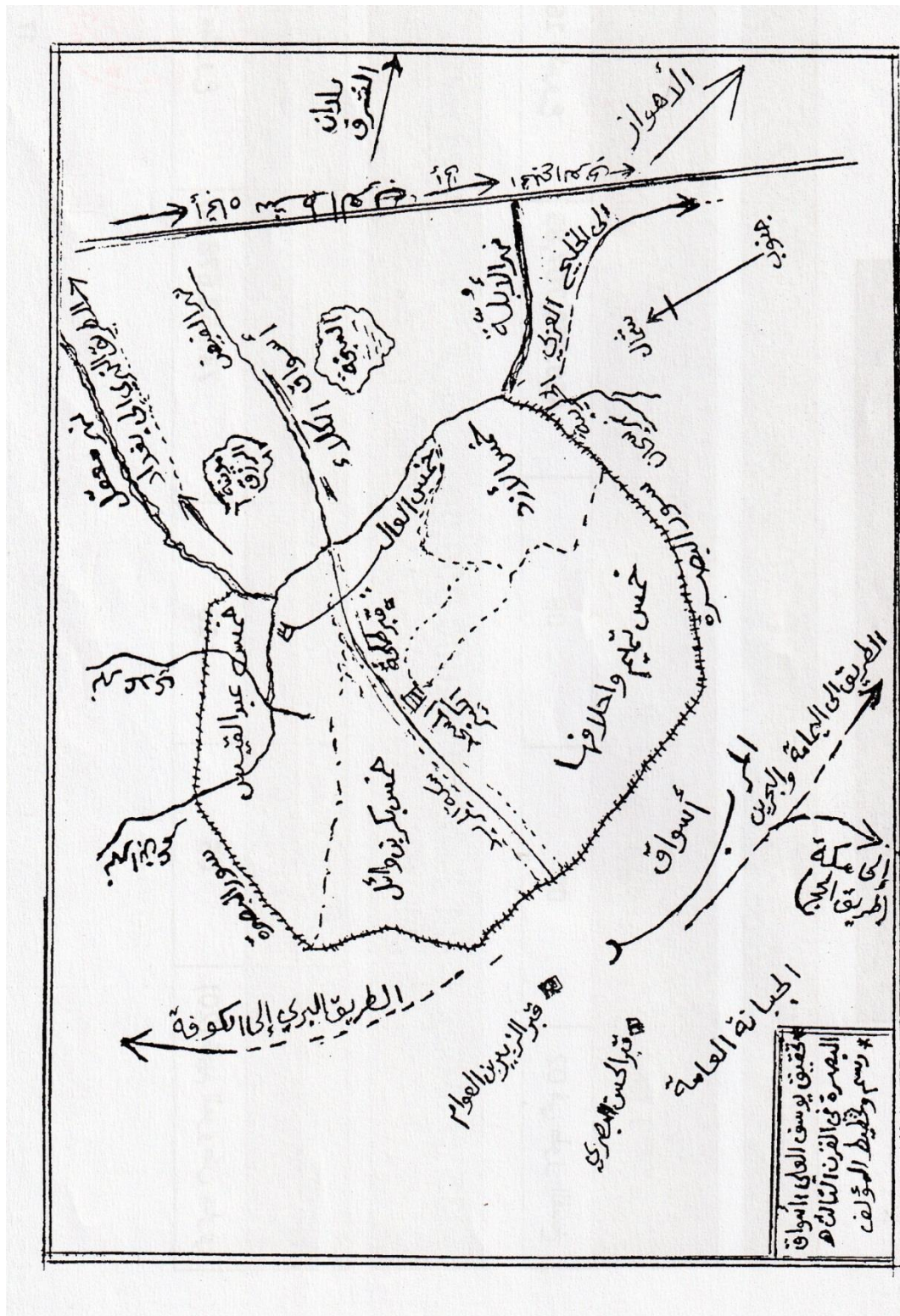
المصدر: أحمد صالح العلي، خطط البصرة ومنطقتها، المرجع السابق، ص 104.

الملحق رقم (2): خريطة توضح موقع مدينة البصرة



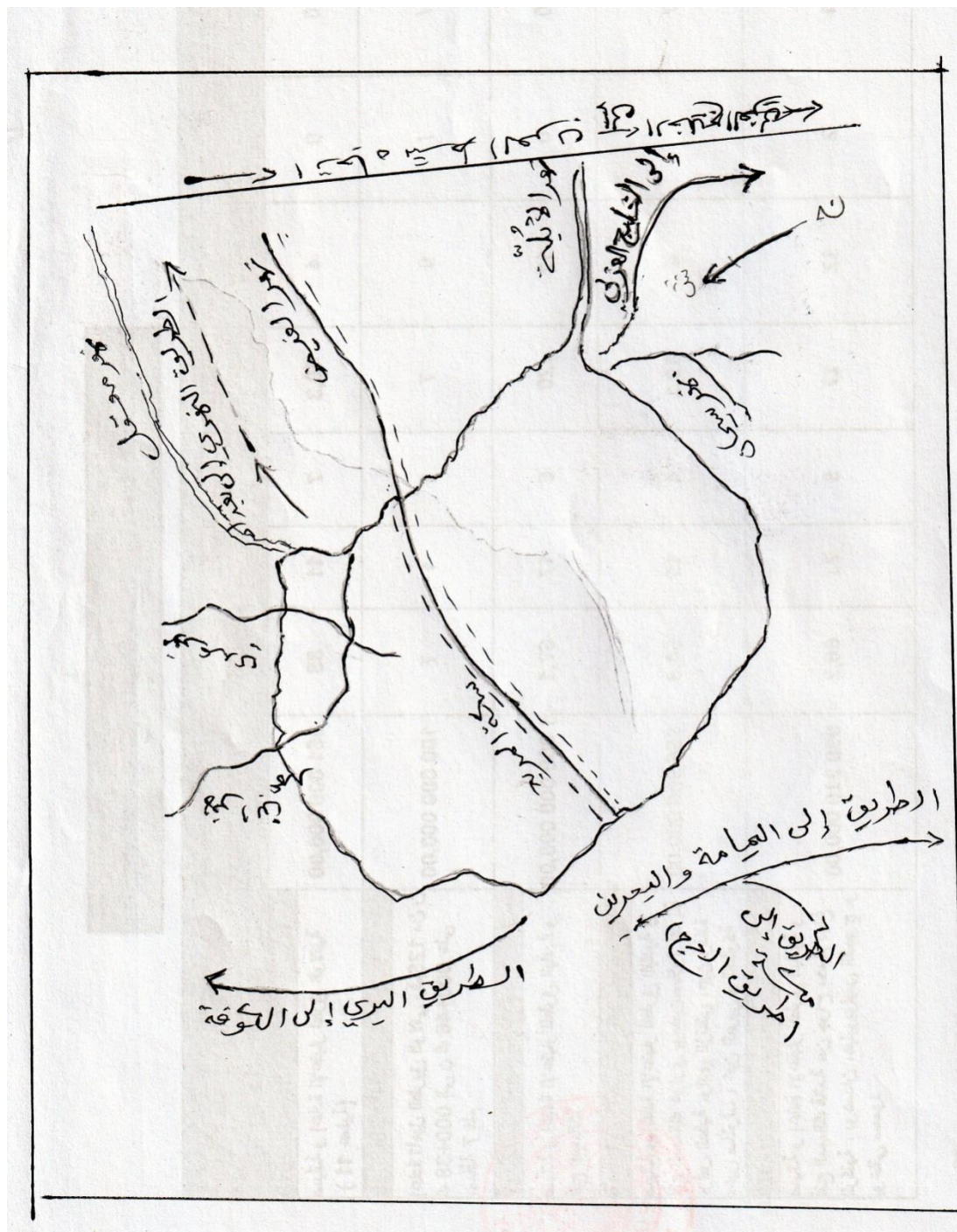
المصدر: نادية نوري علي، المرجع السابق، ص 11.

الملحق رقم (3): خريطة توضح خطط البصرة وحدودها في القرنين الثاني والثالث الهجري



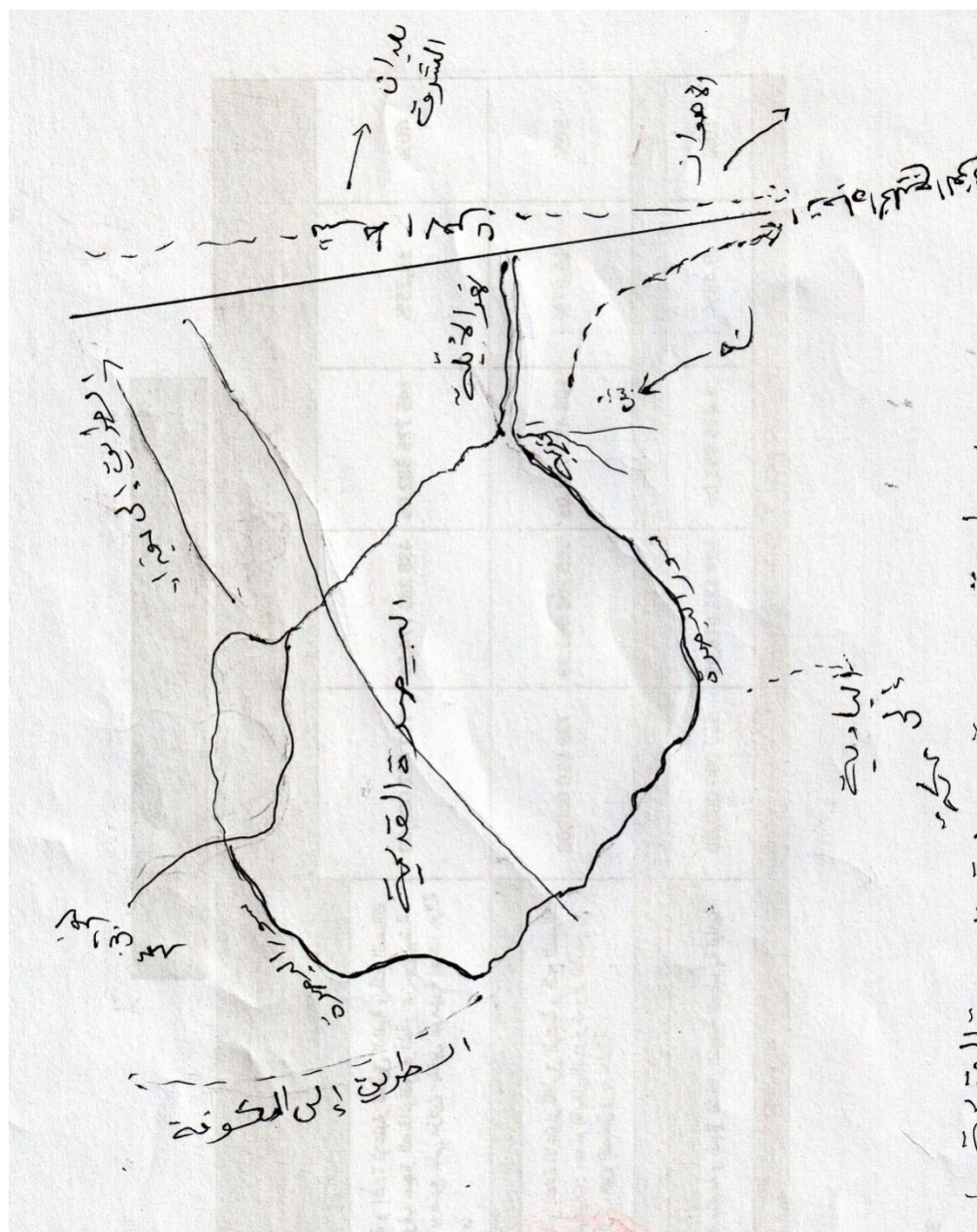
المصدر: نادية نوري علي، المرجع السابق، ص 19.

الملحق رقم (4): خريطة توضح أهم أنهار البصرة وطرقها التجارية



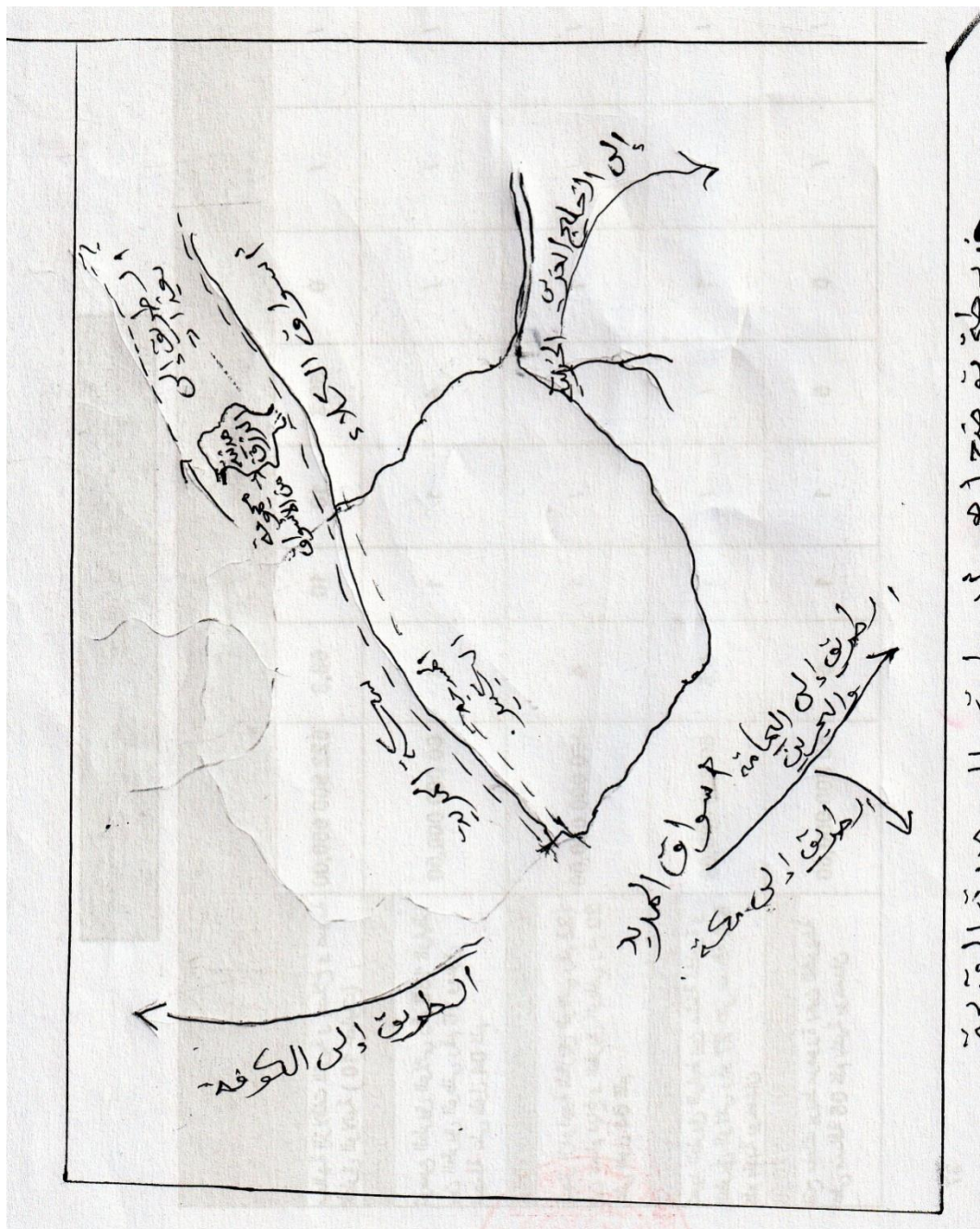
من إنجاز الطالبتين نقلا عن نادية نوري علي، مرجع سابق، ص 19.

الملحق رقم (5): خريطة توضح موقع مدينة البصرة القديمة.



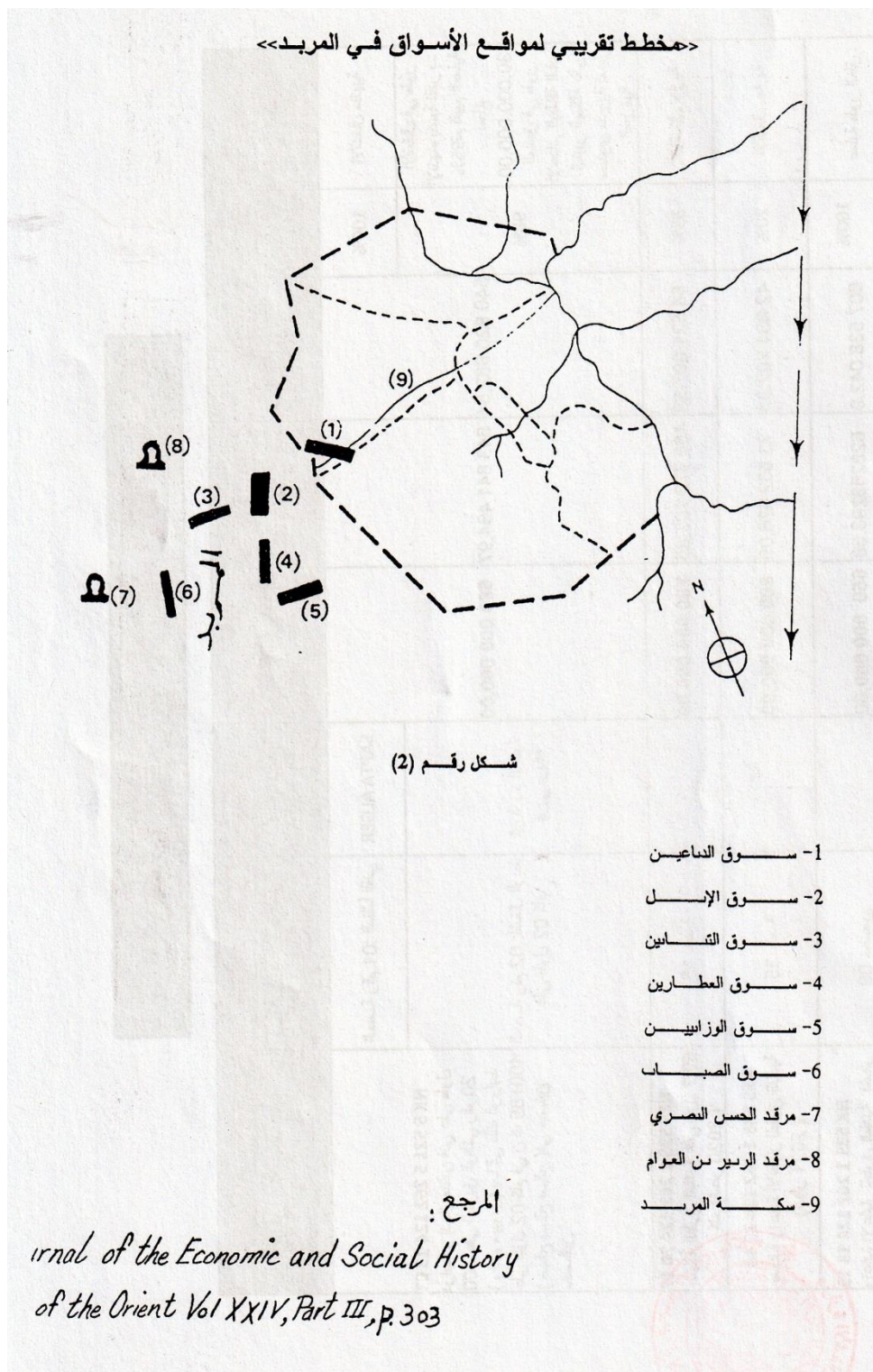
من إنجاز الطالبتين نقلا عن نادبة نوري علي، مرجع سابق، ص 19.

الملحق رقم (6): خريطة توضح أهم أسواق البصرة القديمة



من إنجاز الطالبين، نقلا عن نادية نوري علي، مرجع سابق، ص 19.

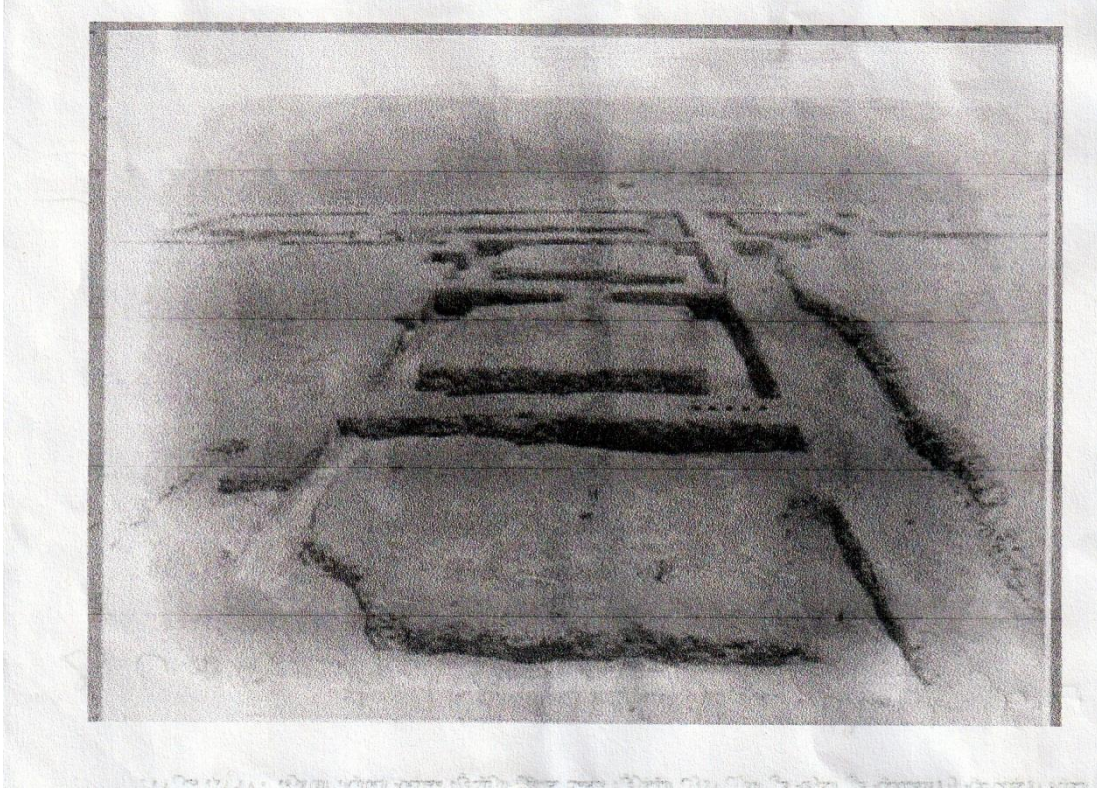
الملحق رقم (7): خريطة توضح مخطط تقريبي لمواقع الأسواق في المريد



الملحق رقم (8): مخطط تقريبي لمواقع أسواق باب الجامع والسوق الكبير



الملحق رقم (9): صورة توضح تأثير العوامل الجغرافية لتخطيط الكوفة



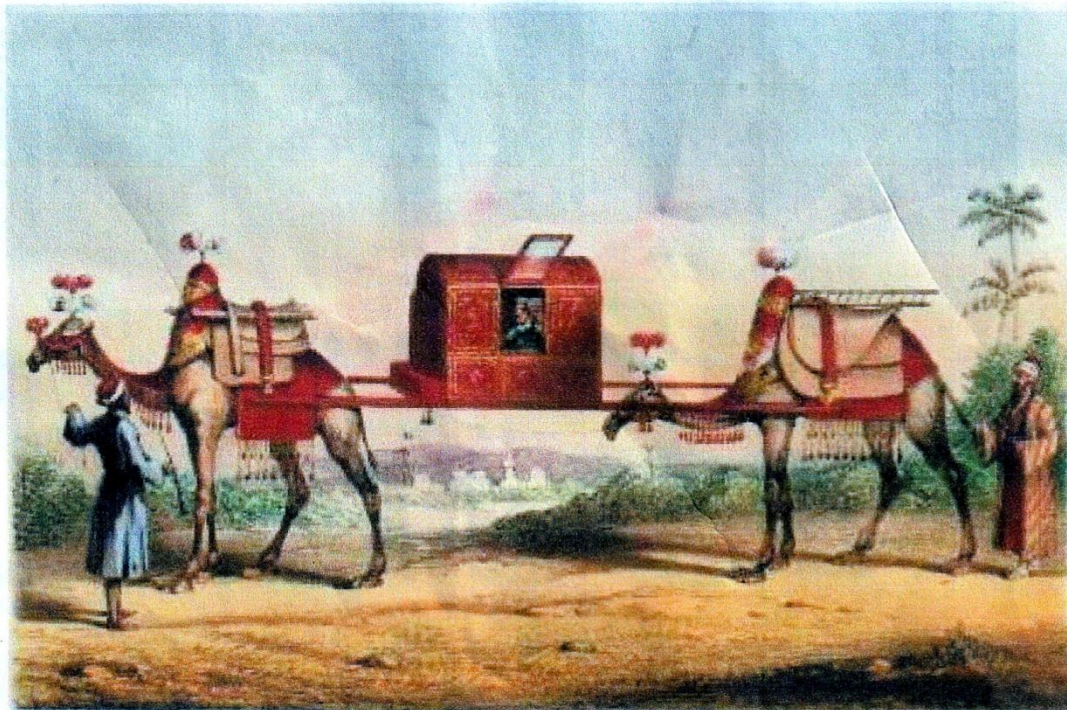
ينظر: علي مفتاح عبد السلام الحولي، المرجع السابق، ص 20.

الملحق رقم (10): الحياة الاقتصادية في الكوفة في القرن الاول الهجري



ينظر: علي مفتاح عبد السلام الحولي، المرجع السابق، ص 21.

الملحق رقم (11): صورة توضح النقل بين الكوفة والنجف



ينظر: علي مفتاح عبد السلام الحولي، المرجع السابق، ص 29.

قائمة

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم عن رواية ورش.
- الحديث النبوي الشريف.
- قائمة المصادر:

أولاً: مصادر تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف:

1. أحمد ابن حنبل (ت 241هـ)، مسند أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، القاهرة، 1421هـ/2001م، ج18، رقم الحديث 11731.
2. أبو الحسين مسلم (بن الحجاج القشيري النيسابوري ت 261هـ)، صحيح مسلم (كتاب فتن وأشرف الساعة)، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، د ط، القاهرة، 1374هـ-1900م، رقم الحديث 2920، ج6.
3. ابن داود السجستاني (أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ت 275هـ)، سنن أبي داود، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، باب في المعقل من الملاحم، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، رقم الحديث 4298، 1430هـ-2009م، ج6.
4. راغب الأصفهاني (ت502هـ)، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار الفكر، (د. ط)، بيروت، (د. ت).
5. الشوكاني (محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، ت 1250هـ)، فتح القدير، مر يوسف الغوش، دار المعرفة، ط4، بيروت، 1428هـ/2007م.
6. الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310هـ)، تفسير الطبري عن تأويل القرآن دار التربية، (د. ط)، مكة المكرمة، (د. ت)، ج14.
7. القسطلاني (أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري أبو العباس شهاب الدين ت 923هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الكبرى الأميرية، ط7، مصر، رقم الحديث: 7480، 1323هـ، ج10.
8. ابن ماجة (محمد بن يزيد بن ماجة ت 273هـ)، سنن ابن ماجة، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د ط، القاهرة، رقم الحديث 223، ج1.

9. النَّسَائِي (أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النَّسَائِي ت 303هـ)، سنن النَّسَائِي (كتاب الجهاد)، المكتبة التجارية الكبرى، ط1، القاهرة، 1348هـ-1930م، رقم الحديث 3176.
- ثانيا. المصادر التاريخية والجغرافية:
1. ابن الأثير، (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري الشيباني ت 630هـ)، الكامل في التاريخ، دار المعارف، د ط، بيروت، د ت، ج2.
 2. أحمد بن القاضي المكناسي (ت 1025هـ)، جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، د ط، الرباط، 1973-1393هـ.
 3. ابن الأزرقي (محمد بن علي بن محمد الأصبغي الأندلسي، أبو عبد الله شمس الدين الغرناطي ت 896هـ)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح: علي ساسي النصار، منشورات وزارة الإعلام، ط1، العراق، د ت، ج2.
 4. الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري المعروف بالكرخي ت 346هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، د ط، بيروت، 2004.
 5. البغدادي (صفي الدين عبد المؤمن عبد الحق القطيعي ت 739هـ)، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، ط1، بيروت، 1412هـ، ج1.
 6. البكري، (أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي ت 487هـ/1094م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح: دمال طلبة، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1982، ج4.
 7. البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت 279هـ)، فتوح البلدان، تع وتق: شوقي أبو خليل، وزارة الثقافة، د ط، دمشق، 1997.
 8. بن سيده المرسي (أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت 458هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421هـ-2000م، ج8.
 9. الجاحظ (عمرو بن بحر ت 255هـ)، كتاب البلدان، تعليق: أحمد صالح العلي، مطبعة الحكومة، د ط، بغداد، 1970.

10. ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي ت 368هـ)، صورة الأرض، مكتبة الحياة، د ط، بيروت، 1992.
11. ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت نحو 280هـ)، المسالك والممالك، دار صادر، د ط، بيروت، 1889م.
12. ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي 732 - 808هـ)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر وما عاصروهم من ذوي الشأن الأكبر، مرا: سهيل دكار، دار الفكر، ط1، بيروت، 1401هـ - 1981م، ج1.
13. ابن خلكان (لابن شمس الدين أحمد بن محمد بن ابي بكر ت 681) العباس وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان غياث، دار صادر، (د.ط)، بيروت، 1990.
14. ابن خياط (أبي عمرو خليفة بن خياط بن أبي هبيرة الليثي العصفري ت 240هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، مرا: مصطفى نجيب فواز وحكمت كئلي فوار، دار الكتب، ط1، بيروت، 1415هـ - 1995م.
15. الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود ت 282هـ)، الأخبار الطوال، مطبعة السعادة، ط1، مصر، 1330هـ.
16. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت 748هـ)، سير أعلام النبلاء، تح: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، ط11، بيروت، 1417هـ - 1996م، ج3.
17. ابن أبي الربيع (شهاب الدين أحمد بن أبي الربيع ت: 272هـ)، سلوك المالك في تدبير الممالك، تح: عارف احمد عبد الغني، دار كنان، د ط، دمشق، 1996م.
18. ابن رسته (أحمد بن عمر ت 290هـ)، الأعلام النفيسة، طبعة ابريل، (دم)، 1892
19. الرضي الاستربادي (محمد بن الحسن الرضي الاستربادي نجم الدين، ت 686هـ)، شرح شافية الحاجب، تح: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، د ط، بيروت، 1395هـ - 1975م.

20. ابن ابي زرع (علي ابن أبي زرع الفاسي ت 726هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور، د ط، الرباط، 1972.
21. ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري ت 230هـ)، الطبقات الكبرى، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1410هـ-1990م، ج6.
22. سهراب، عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تص: هانس فون ميزك، مطبعة أدولف هرلزهنز، د ط، مدينة قينة، 1347هـ-1929م
23. الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت 310هـ)، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط4، القاهرة، 1979م، ج3.
24. ابن الفقيه (أبي بكر احمد بن محمد الهمداني ت 340هـ)، كتاب البلدان، دار صادر، د ط، بيروت، 1302هـ.
25. ابن قتيبة (أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ت 276هـ)، عيون الأخبار، تح: ثروة عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1992.
26. القزويني (زكرياء بن محمد بن محمود القزويني ت 682هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، د ط، بيروت.
27. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل الحافظ ابن كثير الدمشقي ت 774هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1413هـ-1992م، ج7.
28. الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد حبيب البصري البغدادي ت 450هـ)، تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، تح: محيي هلال السرحان وحسن الساعاتي، دار النهضة العربية، د ط، بيروت.
29. المسعودي (أبي الحسن بن علي تاريخ 346هـ)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1425 هـ، 2005 م، ج2.
30. المقدسي (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي البشاري ت 380هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة، 1411هـ-1991م.

31. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت 626 هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397 هـ-1977 م، ج1، ج5.
32. اليعقوبي (أحمد بن إسحاق أبي يعقوب ابن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي ت 292 هـ)، البلدان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422 هـ.

• قائمة المعاجم اللغوية

1. ابن الأجدابي (أبي إسحاق إبراهيم بن اسماعيل الطرابلسي ت 444 هـ)، كفاية المتحفظ في اللغة، تح: السائح عليمين، دار إقرأ للطباعة، (د. ط)، طرابلس، (د. ت).
2. الجوهرى (أبو نصر إسماعيل بن حماد ت: 393 هـ)، الصحاح في تاج اللغة وصحاح العربية، تح: محمد تامر، دار الحديث، د ط، القاهرة، 1430 - 2009 م، ج1، ج2.
3. الرازي (زين الدين أبوعبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي ت 666 هـ)، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، بيروت، 1420-1999 م.
4. الزبيدي (محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت 1205 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، دط، الكويت، 1385 هـ - 1422 هـ/1965 - 2001، ج6.
5. ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين ت 395 هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، القاهرة، 1399 هـ، 1979 م، ج1.
6. ابن منظور (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت 711 هـ)، لسان العرب، أدب الحوزة، دط، إيران، 1405 هـ، 1984، ج1، ج2، ج5، ج13، ج15.
7. الهروي (محمد بن أحمد بن الأزهرى أبو منصور ت 370 هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2001 م، ج12.

ثانيا قائمة المراجع:

- قائمة مراجع تفسير القرآن :

1. محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، القاهرة، ج7.

• قائمة المراجع اللغوية

1. إبراهيم لويس معلوف (ت 1365هـ)، المنجد في اللغة، المطبعة الكاثوليكية، دط، بيروت، دت .

2. أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، إيران، 1993، ج 2 2-نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط2، القاهرة، 1392هـ - 1972م، ج1.

• قائمة المراجع العربية:

1. إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1984.

2. البغدادي (فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري)، عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، دار الحكمة للطباعة والنشر، ط1، لندن 1419هـ - 1998م

3. جعفر الشيخ باقر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، دار الاضواء، ط2، بيروت، 1407هـ/1986م

4. جودة حسنين جودة، فتحي محمد أبو عيانة، كتاب قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية، دار المعرفة الجامعية، دط، دم، دت.

5. جورجى زيدان، تاريخ التمدن الإسلامى، مطبعة الهلال، ط4، دم، 1935م.

6. خالد محمد مصطفى عذب، تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية، دار النشر للجامعات، ط4، مصر، 1417هـ/1997م.

7. خير الدين الزركلي (خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي ت1396هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م، ج3.

8. السيد البراقى، تاريخ الكوفة، منشورات، المكتبة الحيدرية، ط3، العراق، 1388هـ/1998م.

9. شاكر مصطفى، المدن في الإسلام حتى العصر العثمانى، دار طلاس للدراسات والنشر، ط1، دم، 1408هـ - 1988م، ج1.

10. الشاورة علي أحمدان، العمران الريفي والحضري، ط2، جامعة القدس، 2008

11. صالح أحمد العلي، خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحواله العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى، المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1406هـ-1986م.
12. صالح أحمد علي، الكوفة وأهلها في صدر الإسلام، شركة المطبوعات، ط1، بيروت، 2003م.
13. طه خضر عبيد، المدينة الإسلامية (تاريخها وتخطيطها وعوامل ازدهارها وانحطاطها)، دار الفكر، عمان، 2001م.
14. عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، بيروت، 2001.
15. عبد الرحمان حميدة، أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، دار الفكر، د ط، دمشق، 1416هـ-1995م.
16. عبد القادر باش أعيان العباسي، البصرة في أدوارها التاريخية، مطبعة دار البصرة، د ط، بغداد، 1381هـ-1961م.
17. علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة، مطبعة الفرات، د ط، بغداد، 1346هـ-1927م.
18. علي مفتاح عبد السلام الحولي، تخطيط المدن العربية الإسلامية الجديدة في العصر الراشدي 13-40هـ/634-661م، دار زهران، ط1 عمان، 2011.
19. الفيومي، تاريخ الفكر الديني الجاهلي، دار الفكر، ط4، 1415هـ/1994م.
20. محمد ضيف البطاينة، الحياة الاقتصادية في العصور الإسلامية الأولى، دار طارق للطباعة ونشر، الأردن، (د.ت).
21. محمد عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأت وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد للنشر، (د. ط)، العراق، 1982.
22. محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، عالم المعرفة، د ط، الكويت، 1988.
23. محمود شيت خطاب، قادة فتح العراق والجزيرة، دار القلم، ط3، القاهرة، (د. ت).

24. هاشم حسين ناصر المحنك: أوضاع الكوفة الاقتصادية في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، دار أنباء للنشر والطباعة، ط1، العراق، 1424هـ/2003م.
25. —————، موجز تمصير الكوفة وعمرانها حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، دار أنباء، ط1، العراق، 1426هـ/2006م.
26. هشام جعيط، الكوفة نشأة المدينة العربية الإسلامية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، الكويت، 1986.
27. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر، ط3، دمشق، 1409هـ-1989م، ج1.
28. يحيى وزير، العمارة الإسلامية والبيئة، مطابع السياسة، (د.ط)، الكويت، 1425هـ/2003م.

• قائمة المراجع المترجمة:

1. آرثر كريستنس، إيران في عهد الساسانيين، تر: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، القاهرة، 1957.
2. شارل بلات، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، تر: إبراهيم الكيلاني، دار اليقظة العربية، د ط، دمشق، سوريا، 1961 .
3. كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسيس كوركيس عواد، مطبعة الرابطة، د ط، بغداد، 1373هـ/1945م.

• الموسوعات:

1. شاكر محمود، موسوعة تاريخ الخليج العربي، دار أسامة، الأردن، د ط، عمان، 2003، ج1.

2. غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، جروس يرس، بيروت، د ط، لبنان، 1986.

• قائمة المجالات:

1. أحمد علي إسماعيل، المدينة العربية والإسلامية توازن الموقع والتركيب الداخلي، رسائل جغرافية، نشرة دورية محكمة تعنى بالحوث الجغرافية، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت والجمعية الكويتية، 1407هـ - 1987م.

2. أسماء محمد سلطان الهنداوي وآخرون، المدينة وخصائصها عند المقدسي، مجلة الآداب، ع136، العراق، 1442هـ/2021م.
3. أميمة أحمد السيد، الإمارة على بلدان العراق في العصر الأموي (41-123هـ)، المجلة العلمية لكلية الآداب بسوهاج، قسم التاريخ، جامعة سوهاج، ع30، 2009.
4. إيمان جاسم الطيف السامرائي، مفهوم المدينة وتصنيفها عند البعقوبي من خلال كتاب البلدان، الملوية للدراسات الأثرية والتاريخية، مج3، ع3، العراق، 2016م.
5. بلسم محمد صكبان القريشي، دلالة قرية ومدينة في القرآن الكريم، مجلة الفنون والآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع51، العراق، 2020.
6. بلقيس عيدان لويس، الري والإصلاح الزراعي في العراق (1-132هـ / 622 750م)، مجلة التراث العلمي، كلية التربية، جامعة بغداد، مج19، ع1، 2022.
7. خليف مصطفى غرابية، منهجية الفكر الإسلامي في تخطيط المدينة العربية الإسلامية (ابن أبي الربيع نموذجاً)، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، عمادة البحث العلمي، الجامعة الأردنية، ع1، 2015، مج8.
8. دانية غانم حسن، الأسس والمعايير لتخطيط وإنشاء مدينة البصرة (14هـ -635م)، مجلة كلية المأمون، ع33، 2019.
9. دراجي خيرة، الحياة الاقتصادية والاجتماعية للكوفة في القرن الأول هجري، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع10، المدرسة العليا للأساتذة، بوزريعة، مج5.
10. دعاء سميح عبد السلام، القرية والمدينة في القرآن الكريم (دراسة في التفسير الموضوعي)، مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ع12، مصر، 2018.
11. رغد صالح هادي، أسواق الطرق الإسلامية في العصر الأموي، دراسات تربوية، ع24، 2013، صاليسكندرية.
12. صباح كريم رياح الفتلاوي، الكوفة في مرويّات مؤرخي القرنين الرابع والخامس هجري الطبري (ت210هـ) والبيكري (ت487هـ) نموذجاً، مركز دراسات الكوفة، ع11، العراق، 2008م.

13. طالب علي الشرقي، الكوفة قبل التعصيم، حولية الكوفة، ع8، العراق، 1439هـ-2018م.
14. عادل مبروك المختار الفار، المدن الإسلامية المبكرة، مجلة الإعلام والفنون، ع6، 2022م،
15. عبد الحسين علوان الدرويش، الاستحضار التاريخي لكوفة الإمام علي رضي الله عنه (دراسة تاريخية)، الجامعة المستنصرية، ع35، مج9.
16. عبد الحكيم غنتاب الكعبي، التحولات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري /السابع الميلادي، مجلة دراسات البصرة، ع17، 2014م.
17. عبد الستار نصيف جاسم العامري، قسور فالج الصافي، جهود علماء البصرة والكوفة في مجال العلوم الدينية ودورهم في التواصل الفكري بين المدينتين حتى نهاية العصر الأموي 132هـ، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل، ع13، 2013.
18. عبد الواحد مخلف محمد الديلمي، الكوفة ومكانتها الجغرافية والتاريخية والفكرية، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، ع22، الكوفة، 1443هـ/2021م
19. الكناني صباح خلف جبر، جغرافية المدن في كتب التراث العربي لجغرافي الإسلامي، مجلة التراث العربي العلمي، ع1، جامعة بغداد، 2012.
20. محمد سعد إسماعيل، مربد البصرة النشأة والتطور التاريخي مجلة كلية الآداب، جامعة بورسعيد، ع76، مج65، 2015.
21. مريم بوعامر، نشأة وتطور المدينة الإسلامية وخصائصها المميزة لها، مجلة رفوف، مخبر المخطوطات، جامعة أدرار، الجزائر ع2، 2022م، مج 10.
22. ممتاز حازم داؤد الديوجي، بسام إحسان عبد القادر، أثر الإسلام في تطوير بعض المفاهيم الأساسية في تخطيط المدن، مجلة المخطط والتنمية، جامعة الموصل، ع19، العراق، 2008.
23. منير جهاد محمد سبتي، تاريخ الكوفة وتأسيسها وتطورها، مجلة المأمون الجامعة، ع34، العراق

24. موشموش محمد، الطرق والأحياء للمدينة الإسلامية، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، ع1، الجزائر، 2022م.
25. ميادة عبد الملك محمد صبري، تخطيط وعمارة المدينة الإسلامية مدينة دمشق القديمة نموذج لقمة التعايش والتعامل في المنظور الاسلامي، مجلة كلية التربية واسط، معهد التخطيط الحضري للدراسات العليا، ع 11، دت.
26. نادية نوري علي، نشأة مدينة البصرة وتطورها العمراني في القرن الأول الهجري، مجلة دراسات البصرة، ع14، 2012م.
27. نوال تركي موسى، بهاء موسى حبيب، العوامل المؤثرة على تخطيط المدينة العربية الإسلامية، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، كلية الآداب، جامعة الكوفة، ع 13، 2013.
28. هادفي سمية، سوسيولوجيا المدينة وأنماط التنظيم الاجتماعي الحضري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 17، 2014.
29. وليد عبد الله المنيس، التفسير الشرعي للتمدن، النشرة الجغرافية لقسم الجغرافيا والجمعية الجغرافية الكويتية، ع 62، 1948م.
30. يوسف يحي طعماس، المدينة في الفكر الجغرافي، مجلة كلية الآداب، ع23، بغداد، 2001م.

• أطروحة دكتوراه:

1. صالح أحمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، تعريب أطروحة دكتوراه أجزيت من جامعة أكسفورد، مطبعة المعارف، د ط، بغداد، 1953.
2. فاطمة عبد المنعم سعيد الصراف، الحيرة في القرنين الأول والثاني هجري (دراسة تاريخية)، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة، 1428هـ/2007م.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة.....أ-ز

الفصل الأول: المدينة الإسلامية وأسسها الاقتصادية

1. المدينة مفاهيم واتجاهات 09
- 1.1. المدينة والقرية في القرآن الكريم 09
- المدينة مواضيعها ودلالاتها في القرآن الكريم 09
- القرية مواضيعها ودلالاتها في القرآن الكريم 18
- 1.2. المدينة في الحديث النبوي الشريف 23
- 1.3. المدينة لغة واصطلاحا 25
- 1.4. المدينة عند الجغرافيين 30
2. الشرط الاقتصادي في تأسيس المدينة الإسلامية 33

الفصل الثاني: الأثر الاقتصادي في بناء وتطور البصرة

- تمصير البصرة 50
- 1. فضل الموقع على ازدهار اقتصاد المدينة 58
- 2. تقدير الشوارع في البصرة 62
- 3. التموين الزراعي 63
- 4. الأسواق عصب المدينة 68
- 5. المياه وآثارها الاقتصادية 70

الفصل الثالث: الأثر الاقتصادي في بناء وتطور الكوفة

- تمصير الكوفة 79
- 1. اقتصاد المدينة 86

89	2. تقدير الشوارع
91	3. التموين الزراعي
93	4. الأسواق عصب المدينة
94	5. المياه وأثرها الاقتصادي
97	خاتمة
100	الملاحق
112	قائمة المصادر والمراجع
123	فهرس المحتويات
	الملخص

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة تحليلاً للأثر الاقتصادي في بناء المدن الإسلامية الأولى، من خلال مدينتي البصرة والكوفة نموذجا بين (القرنين 1هـ - 3هـ/7م - 9م)، حيث شملت الدراسة تعريفا للمدينة الإسلامية بمختلف معانيها واتجاهاتها، ثم تطرقنا لرصد الشروط الاقتصادية لها عند أبرز المصادر الجغرافية والتاريخية بداية بابن الربيع نموذجا إلى فلسفة ابن خلدون من ذلك، لينتقل البحث إلى إسقاط ما تناولته الدراسة من تحليل للأسس الاقتصادية على المدينتين، من خلال متطلبات نشأتها في جوانبها الاقتصادية كأسس أثبتت مدى فعالية التخطيط المحكم للحاكم العربي، الذي دلّ على مدى نظرتة المستقبلية لمدينة الإسلام انطلاقا من اختيار مواضعها بناء على الموقع وفضله بتقدير الشوارع والأسواق، إضافة إلى الاختيار على أساس وفرة الماء والتموين الزراعي كمتطلبات اقتصادية بارزة كان لها الفضل بأن أصبحت تلك المدينتين من المدن العربية الإسلامية ذات المكانة الاقتصادية وتحولت من مجرد معسكر إلى مدن مزدهرة.

الكلمات المفتاحية: المدينة الإسلامية، الأثر الاقتصادي، الميرة، تقدير الشوارع، الأسواق.

Abstract:

This study deals with an analysis of the economic impact in the construction of the first Islamic cities, through the cities of Bassora and Koufa as a model between (1st centuries AH - 4 AH / 7 AD - 9 AD), where the study included a definition of the Islamic city in its various meanings and trends, then we touched on monitoring the economic conditions of it when the most prominent geographical and historical sources, starting with Ibn al-Rabie as a model to the philosophy of Ibn Khaldun from that, to move the research to drop what the study dealt with from the analysis of the economic foundations on the two cities, through the requirements of its inception in its economic aspects as proven foundations. The effectiveness of the tight planning of the Arab ruler, who indicated the extent of his future outlook for the cities of Islam based on the choice of their locations based on the location and his virtue of estimating the streets and markets, in addition to the selection on the basis of the abundance of water and agricultural supply as prominent economic requirements that were credited with becoming those two cities of Arab Islamic status and turned from a mere camp to prosperous cities.

Keywords: Islamic City - Economic Impact - Al Meera - Street Estimation - Markets